

٧٧

السنة الثامنة ١٩٧٥/٩/١٤
تصدر كل خميس

المعرفة



د

المعرفة

اللجنة العلمية الاستشارية للمعرفة:

رئيسها: الدكتور محمد فتواد إبراهيم
أعضاء: الدكتور بطرس بطرس غالي
الدكتور حسين فوزي
الدكتورة سعاد ماهر
الدكتور محمد جمال الدين الفندي

اللجنة الفنية:

رئيسها: شفيق ذهني
أعضاء: طوسون أبيات
محمد ركب رجب
محمود مسعود
سكرتير التحرير: السيلة/ عصمت محمد أحمد

دبلوماسية

تعريف الدبلوماسية

كان الهنود منذ نحو ٣٠٠٠ سنة يعرفون الدبلوماسية **Diplomacy** بأنها « القدرة على إثارة الحرب، وتأكيده السلام بين الدول ». ويمكن القول بصفة عامة بأن هذا التعريف لا يزال ساريا، فإن الهدف الأساسي للدبلوماسية اليوم، هو إقامة العلاقات الطيبة بين مختلف الدول.

وكلمة دبلوماسية مشتقة من الكلمة اليونانية **Diplôma** ومعناها « الشيء المطوى ». والواقع أن العادة في الزمن القديم كانت تجري على إعطاء السفراء **Ambassadors** الذين تنتدبهم بلادهم لإقامة علاقات مع بلد آخر، ورقة مطوية يكتب فيها الغرض من هذا الانتداب.

أقدم الاتصالات الدبلوماسية في التاريخ

كان رؤساء القبائل في الأزمنة المتناهية في القدم عندما يقصدون قبيلة أخرى للتفاوض مع رئيسها، هم أول من قاموا بمهمة دبلوماسية. ومن الواضح أنه لم تصلنا أي آثار تدل على نوع العلاقات التي كانت تقوم بين مختلف القبائل، ولعل أقدم الوثائق المكتوبة التي تتعلق بموضوع الاتصالات الدبلوماسية ترجع إلى حوالي عام



تمثال مصري من عهد الفرعون توت عنخ آمون (متحف اللوفر بباريس). كان من بين الأعمال التي يكلف بها الكاتب تحرير الاتفاقيات التي كانت تبرم بين فرعون و رؤساء الدول الأخرى.

١٣٠٠ ق.م. وقد اكتشفت تلك الوثائق في تل العمارنة (الواقعة على الضفة اليمنى لنهر النيل) ، وهي تتعلق بمختلف اتفاقيات التحالف التي عقدت بين المصريين والحيتيين **Hittites**. وهم من شعوب آسيا الصغرى. وثمة رسائل دبلوماسية أخرى ذات أهمية من العصور القديمة. اكتشفت بين أطلال القصر الملكي في مدينة نينوى **Ninive** عاصمة الآشوريين القديمة. وهي تكشف لنا عن النشاط الدبلوماسي للملك آشور بانين-بال **Assurbanipal** (القرن السابع ق.م) مع الدول الكبرى في الشرق.

وكانت العلاقات الدبلوماسية لدى القدماء تتم عادة عن طريق تبادل الرسائل **Correspondence**، التي كانت تكتب على ألواح من الفخار (في الأزمنة المتناهية في القدم)، أو على الرق **Parchment**، أو أوراق البردي **Papyrus**، وتتضمن تفاصيل المعاهدة **Treaty** المقترحة، وكان يعهد بتلك الرسائل إلى رسل يكلفون تسليمها للرسالة إليهم، والعودة بالرد عليها.

الدبلوماسية في بلاد الإغريق "اليونان القديمة"

سبق أن عرفنا أن بلاد الإغريق لم تكن أمة واحدة متحدة، ولكنها كانت مقسمة إلى دويلات في مختلف المدن الإغريقية، وقد عرفت تلك الدويلات بأنشطة دبلوماسية واسعة النطاق، من أحلاف **Alliances** عسكرية، واتفاقيات تجارية، وصلات دينية... إلخ.

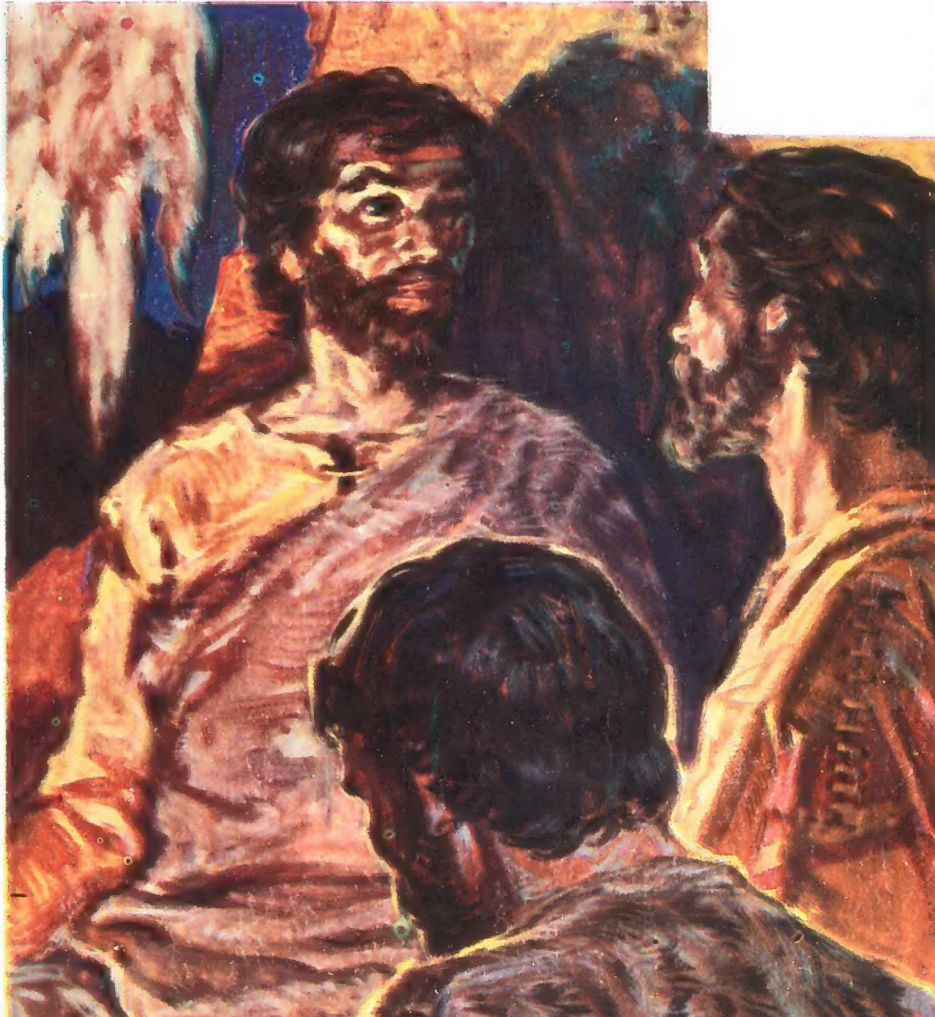
وكانت الاتصالات الدبلوماسية في بلاد الإغريق يكلف بها رسل يختارون من بين أهالي المدينة التي سبق لها أن أبدت مهارة خاصة في اتصالاتها السياسية. وإذا كانت المهمة الدبلوماسية **Diplomatic Mission** التي يعهد بها إلى أولئك الرسل بالنجاح، كانوا يمنحون تاجا من أغصان الغار، وهو أسمى المكافآت في بلاد الإغريق.

والمعاهدات التي يقوم السفراء بإبرامها كانت تعتبر مقدسة، وكانت المدن التي تخالف نصوصها تعاقب بفرض غرامة ضخمة عليها، وإذا امتنعت عن دفع تلك الغرامة، كانوا يعلنون عليها « الحرب المقدسة **Sacred War** ».

الدبلوماسية في روما القديمة

كانت مسئولية القيام بالاتصالات بين روما والمدن الأجنبية في عهد الملكية تقع على عاتق مجلس القساوسة **Fetiales** (من اللاتينية **Foedus** بمعنى حلف).

المناقشة بين رؤساء القبائل، كانت أول أشكال الاتصالات الدبلوماسية

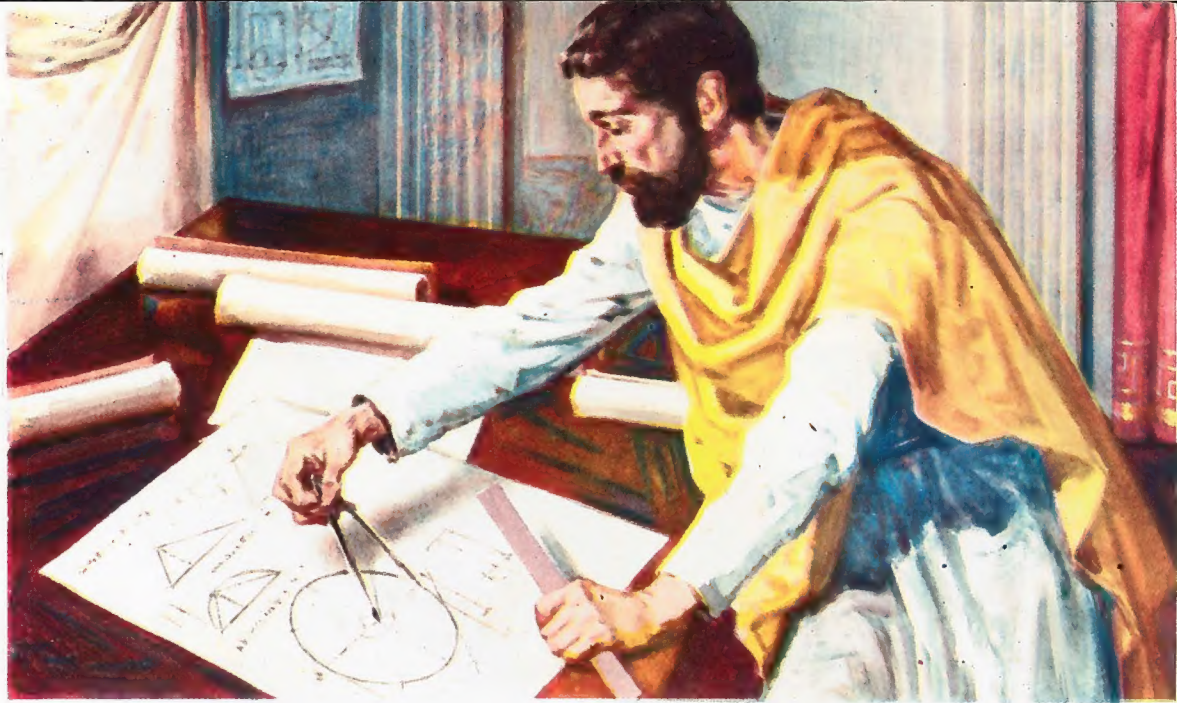


غضبنا النظر عن بديهية التوازي هذه ، لكان باستطاعتنا أن ننشئ طرقاً أخرى للنظريات الهندسية تكون بنفس الترابط . وهذه الطرق هي ما يطلق عليها اسم « اللاإقليدية non-Euclidean » ، وقد أصبحت على درجة كبيرة من الأهمية في العلوم الحديثة . ونظرية أينشتاين Einstein العامة في النسبية ، تستخدم إحدى هذه الطرق الهندسية اللاإقليدية .

وإذا رجعنا كثيراً إلى الوراء ، نجد أن فيثاغورس Pythagoras اكتشف في القرن السادس ق . م . أن قطر المربع لا يمكن قياسه على أساس أنه نسبة عادية من ضلع المربع ، وقد عبر عن هذا القطر بأنه « غير قابل للقياس » ، وهي عبارة ترجمها الرومان بقولهم إنها « غير منطقية » ، وهو نفس التعبير الذي نستخدمه اليوم .

وقد كانت الأعداد « غير المنطقية » ضربة قاسية للرياضيين في ذلك الوقت ، لأنهم كانوا على خطأ في ظنهم أن جميع الأطوال يمكن قياسها كنسب يمكن التعبير عنها بأعداد صحيحة . ومهما يكن من أمر ، فقد استنبطوا طريقة لاستخدام الأعداد الصحيحة للاقترب أكثر فأكثر من تلك القياسات . وعلى العموم ، فإن وسائلهم لاستخراج النسب كانت « هندسة » ، وقد أشار إقليدس في كتابه « الأصول » إلى هذه الوسائل بالتفصيل . كما أن تلك الوسائل تبحث في الحساب Arithmetic ، وتقدم البراهين على بعض النظريات الأولية المتعلقة بالأعداد . ومن أشهر تلك النظريات تلك الخاصة بالأعداد الصماء (وهي الأعداد التي ليس لها عوامل تحليلية) ، وقد بين إقليدس أنه مهما كان العدد الأصغر كبيراً ، فإن هناك دائماً أعداداً أكبر منه .

هذا ، وقد كتب إقليدس في موضوعات أخرى بخلاف الرياضيات ، وإن كانت معظم كتبه قد فقدت ، ولكن كتابيه عن البصريات وعن الموسيقى بقيا لنا .



إقليدس ، عالم الرياضيات ، وهو يرسم أشكالاً هندسية في رسمه .

إقليدس

والظاهر أن إقليدس لم يكن مخترعاً بقدر ما كان مسجلاً لاكتشافات غيره ، وعلى هذا الأساس فهو يعتبر أعظم أساتذة الرياضيات في جميع العصور . وكان أهم مؤلفاته كتاب « الأصول Elements » ، وهو الكتاب الذي ظل مرجعاً لأكثر من ٢٠٠٠ سنة ، إذ لم يبد أحد من علماء الرياضيات من الدقة ما يفوق ما توصل إليه إقليدس إلا في القرن التاسع عشر ، وإلى ذلك الوقت ، ظل كتاب « الأصول » المثل الكامل للنظرية التي نصل إلى نتائجها عن طريق الافتراضات الموضوعة بطريقة نظامية ، وهي ما نسميه « بالنظرية الاستنتاجية » . فن مجموعة صغيرة من « الافتراضات » الأساسية أو (الأوليات) مقرونة بالتعاريف الدقيقة والتفكير المنطقي ، توصل إقليدس إلى استخلاص عدد كبير من النظريات المحكمة التنسيق .

الهندسة الإقليدية

كانت الأوليات في عرف إقليدس واضحة لا تحتاج إلى شرح . أما اليوم فلم نعد نشعر بنفس الثقة التي كان يشعر بها إقليدس . من ذلك أنه كان مقتنعاً بأن أي مستقيمين يقطعان مستقيماً ثالثاً ، ويكونان بذلك زوايا داخلية (في جهة واحدة) يبلغ مجموعها أقل من زاويتين قائمتين Right Angles ، فإن هذين الخطين لا بد أن يتقابل . ومعنى ذلك أنه لا يمر بتلك النقطة سوى مستقيم واحد فقط ، لا يقابل المستقيم الأول ، وهو ما يسمى بالمستقيم « الموازي Parallel » . وقد كان هذا الاستنتاج بالنسبة لإقليدس يعتبر من الأوليات . ولكننا اليوم لا نعتبر ذلك أولياً (بديهياً) ، فقد ظل علماء الرياضيات طيلة المائتي عام الأخيرة يحاولون استخلاص بديهية التوازي هذه من الافتراضات الهندسية الأخرى لإقليدس ، ولكن محاولتهم ذهبت سدى . وإذا نحن

إن المعنى اللفظي لكلمة Geometry هو « قياس الأرض » ، وهو ما نسميه اليوم « المساحة Surveying » . وقد نشأ هذا العلم نتيجة الحاجة العملية للمزارعين في بلاد ما بين النهرين Mesopotamia (الآن العراق) ومصر ، ذلك لأنهم كانوا مضطرين لقياس مساحات الأرض الزراعية المخصصة لهم وتقسيمها . وفي مصر ، كان الفيضان السنوي لنهر النيل الذي يخضب الأرض (كما يفعل حتى اليوم) ، يضطر المزارعين إلى إعادة تخطيط الحقول الزراعية ، لأن مياه الفيضان تمحو آثارها .

وقد تدرج الأمر بتلك الطرق البدائية لقياس الأرض إلى استخدامها في المباني . وتقف المعابد القديمة في مصر وبلاد ما بين النهرين بطرقها وقنواتها ، شاهداً على مدى ما بلغوه في هذا الشأن ، ولو أن كل ذلك ليس في الواقع هو « الهندسة » التي نعرفها اليوم . والكلمة أصلاً وضعها الإغريق ، لأنهم هم الذين كانوا أول من أحال جميع قواعد القياس العملية إلى فرع منظم من فروع الرياضيات Mathematics .

وقد ظلت عبارة الرياضيات الإغريقية لدى أجيال عديدة تعني « إقليدس Euclid » ، بالرغم من أنه كان يوجد علماء في الرياضيات من الإغريق قبل عهد إقليدس بما يقرب من ثلاثة قرون ، وتعزى أولى البراهين الرياضية إلى طاليس الميليقي Thales of Miletus ، الذي عاش حوالي عام ٥٨٥ ق . م . ، بينما نحن نعلم أن إقليدس كان يعمل في عام ٣٠٠ ق . م . ، وكان يدرس في مدينة الإسكندرية التي تقع غرب دلتا النيل ، وكانت قد توسعت وأطلق عليها الاسم الجديد نسبة إلى الإسكندر الأكبر في عام ٣٣٢ ق . م . ، وسرعان ما أصبحت أهم مراكز النفوذ الإغريقي خارج بلاد اليونان ، وهو ما نسميه اليوم « بالثقافة الهلنستية Hellenistic Culture » .

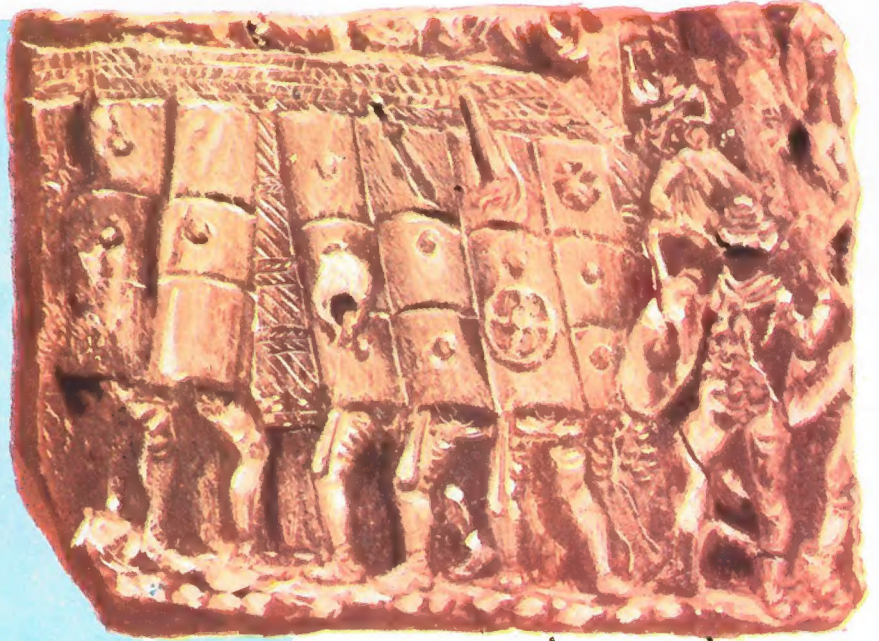
هناك قصتان وصلتا إلينا ، تدلان على أي نوع من الرجال ومن المعلمين كان إقليدس . تروى القصة الأولى أن فرعون طلب من إقليدس ذات يوم أن يعلمه الهندسة بالطريقة السهلة . وقد أجاب إقليدس على ذلك بقوله : « لا يوجد طريق ملكي يؤدي للهندسة » . وتروى القصة الثانية أن إقليدس سمع يوماً أحد تلاميذه يسأل عن الفائدة التي تعود عليه من دراسة الهندسة ، فبادر المعلم على الفور باستدعاء أحد العبيد ، وطلب منه أن يقدم للتلميذ قطعة من النقود وقال : « ما دام هو يصير على أن يربح من كل ما يتعلمه » .

أدوات الهجوم

كان البرج المتحرك **Turres Mobiles** أداة من أهم أدوات الهجوم .

وهو برج شاهق من الخشب ، يتألف من ١٠ أو ١٥ أو حتى ٢٠ طابقاً ، قائم على عجلات ، حتى يمكن دفعه ليستقر عند أسوار المدينة التي يجري حصارها . وكانت تبني عند قمة البرج أو قريباً منها كنظرة متحركة ، لتمكين الجنود من الاندفاع فوقها من قمة البرج إلى أسوار مدينة العدو . وكان البرج يزود غالباً بالقاذفات من نوع كاتا بولت تعدد في الطابق الأعلى للبرج ، كما

يزود بمدك **Batteing Ram** يوضع عند قاعدته . وكانت هذه الأبراج ذات فعالية كبيرة في عمليات الحصار ، وقد استخدمها يوليوس قيصر **Julius Caesar** في هجمته على ماسيليا **Massilia** (مارسيليا) في عام ٤٩ قبل الميلاد . ويقال إن مشهد البرج وهو يتحرك صوب الأسوار كان يثير الفرع دائماً في صفوف الجيش المحاصر .



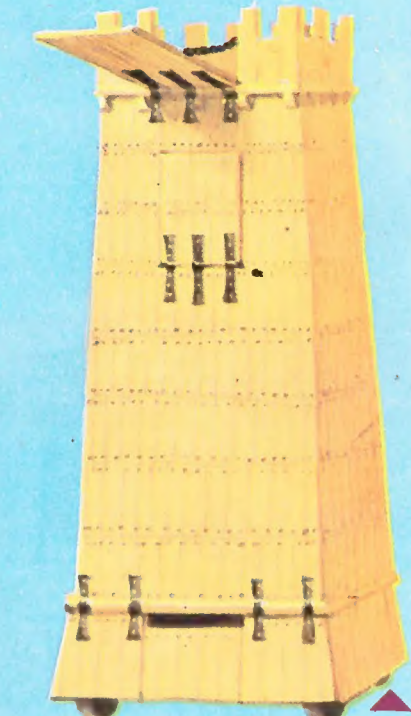
نقش بارز مأخوذ عن عمود أنطونين بروما ، يمثل الحظيرة الخشبية المعروفة باسم السلحفاة **Testudo** .

من أشهر وقائع الحصار **Siege** في التاريخ القديم ، حصار الرومان لمدينة قرطاجنة **Carthage** . فقد ظل القرطاجنيون أربع سنوات من عام ١٤٩ إلى عام ١٤٦ قبل الميلاد صامدين ضد هجمات الرومان المستمرة المتواصلة ، إلى أن تمكن القائد الروماني سكيبيو إيميليانوس **Scipio Aemilianus** في النهاية من الاستيلاء على المدينة .

لقد كان العنصر الهام في نجاح سكيبيو هو استخدامه لختلف آلات وأدوات الحرب التي كانت تحت تصرفه ، والتي شملت ١٤٣ قطعة مدفعية (١٢٠ من قاذفة كاتابولت **Catapult** ، و ٢٣ من قاذفة باليستا **Ballistae**) .

كانت هذه الأدوات تنقسم إلى مجموعتين : المدفعية **Artillery** ، التي كان يمكنها إطلاق السهام الثقيلة ، والأحجار الكبيرة ، وكرات الرصاص أو الجمرات النارية ، وذلك بدقة وإحكام لمسافات طويلة كافية . ثم أدوات الهجوم والافتحام ، التي كانت تستخدم للتغلب على أسوار المدينة التي يجري حصارها . وكانت المدفعية لثقلها المرهق لا تستخدم إلا في الحروب التي تتطلب عمليات الحصار . ويبدو أن الأحداث في عمليات الحصار القديمة كانت

تدور على النسق التالي : فبعد المناوشة **Skirmish** التمهيدية ، كان المدافعون ينسحبون للاحتباء بأسوار مدينتهم وبالخندق المحيط بها ، ثم يقومون بتحصين البوابات ، وبث الحراس على امتداد الأسوار ، وفي داخل الأبراج . أما المهاجمون فإنهم يعمدون إلى إقامة دائرة من المتاريس والخنادق حول المدينة ، لمنع المدافعين عنها من الهرب أو تلقي المساعدة من الخارج . ثم يقوم المهاجمون بنصب المدفعية ، وإطلاق السهام المشتعلة ، أو الكرات النارية على أسوار المدينة . كما يطلقون السهام والأحجار الثقيلة لتغطية زحف جنودهم . وعند وصولهم إلى أسوار المدينة ، لا يلبثون أن يقوموا بتحطيم البوابات ، ودك الأسوار ، أو التسلق إلى الشرفات المفرجة **Battlements** ، التي يطلق منها المدافعون قذائفهم .



البرج المتحرك ، وهو برج خشبي فوق عجلات ، كان يدفع حتى يستقر عند أسوار المدينة

كانت مفتوحة من جانب واحد (كما يبدو في الشكل الأسفل) . وكان هذا النوع يستخدم خصيصاً لوقاية الجنود ، عندما كانوا يقومون بتقويض أسوار المدينة بحفر أنفاق تحتها ، أو انتزاع الأحجار عند قاعدة السور بواسطة أدوات حديدية حادة تسمى تير براى **Terebrae** .



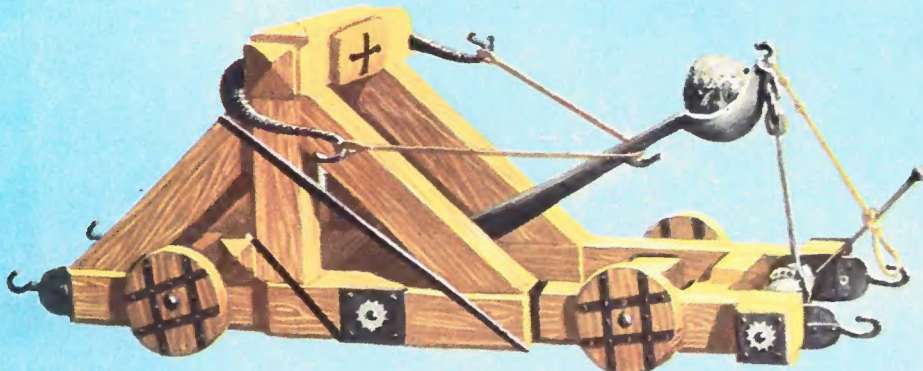
الخطيرة الخشبية المسماة الفأر الصغير ، وكانت تسمى الجنود القائمين بالعمل قرب الأسوار .

ولحماية الجنود أثناء دخولهم البرج المتحرك المنصوب لدى الأسوار ، أقيامهم بالعمل أسفل الأسوار ذاتها ، كان يستخدم نوع يشبه حظيرة خشبية ذات عجلات سموها (الفأر الصغير **Musculus**) ، وأحياناً سموها السلحفاة **Testudo (Tortoise)** ، ولها فتحات على جانبيها (وهي تبدو في الصورة إلى أعلى) . وكانت القذائف تسقط متدحرجة على سقفها المنحدر ، الذي كان يغطي بجلود محشوة بالأعشاب البحرية أو التبن المبلل بالخل ، لمنع اشتعال النار فيها بسبب الكرات النارية المتساقطة عليها . وشبه بحظيرة (الفأر الصغير) ، الخطيرة الأخرى المعروفة باسم فينيا **Vinea** ، ولكنها



حظيرة فينيا ، كانت تسمى الجنود القائمين بحفر أنفاق أسفل أسوار المدينة

المدفعية



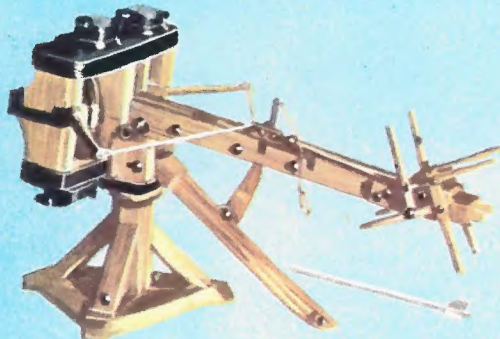
القاذفة الثقيلة (بالستا) ، التي كان يمكنها إطلاق قذائف زنتها ٥٠ رطلاً

وكانت قاذفة الأحجار والكرات بالستا Ballista أداة تشبه قاذفة السهام كاتابولت، ولكنها أكبر منها كثيراً، وكان يمكنها إطلاق قذائف تصل زنتها إلى ٥٠ رطلاً . وكان مدى القذيفة التي تزن ٢٠ رطلاً يصل إلى ما يزيد على ٩٠ متراً .

وكانت أكثر أدوات المدفعية الرومانية استعمالاً ، قاذفة السهام كاتابولت Catapult ، وكانوا يسمونها أيضاً العقرب Scorpion . وكان هذا السلاح يستخدم لإطلاق السهام الثقيلة ، التي يبلغ طولها من ٦٠ سم إلى ١٢٠ سم . وكانت من شدة القوة بحيث يمكن أن تطلق سهاماً طولها ٥ سم ، تنغرس في لوحة خشبية من مدى ٢٧٥ متراً .

تركيب القاذفة : كان يؤتى بخصلتين من شعر الخيل أو عروق الحيوانات ، يجري شدهما عمودياً في إطار خشبي ، متين بحيث تبعدان عن بعضهما مسافة ٦٠ سم أو ٩٠ سم . وفي داخل كل خصلة ، كان يدفع طرف قضيب طوله حوالي ٦٠ سم ، وكانت أطراف القضيبين توصلان معاً بمجمل يمكن

شده إلى الخلف ، كما يشد وتر القوس بوساطة أداة رافعة ، فيقابل ذلك من الناحية الأخرى مقاومة خصلة الشعر . ثم يوضع سهم في زلاقة خشبية في مقابلة الحبل ، وبإطلاق السهم بالضغط على جهاز آلي يشبه الزناد ، كان يمرق في الهواء بقوة عظيمة . وكانت صلابة الإطار الخشبي تتكفل بتصويب السهم بدقة كبيرة .



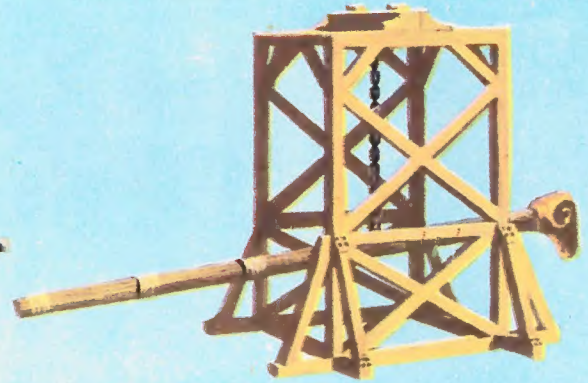
قاذفة السهام كاتابولت

ملحوظة :

إن رسوم هذه الأدوات لم تكن بنسبة مقياسية ثابتة . أما أحجامها النسبية فإنها تبدو في الرسم الذي يضمها جميعاً في الشكل المرسوم في الصفحتين التاليتين .



القاذفة الخفيفة (أوناچر) ، وهي تشبه قاذفة الأنتال (بالستا) ، ولكنها أصغر وأخف .



مدك آريس ، وله طرف يشبه رأس الكبش

وكان أقوى أدوات الهجوم عند الرومان هو (المنجنيق أو المدك المسمى آريس Aries أو الكبش Ram) . وكان يشكل من عمود ثقيل من خشب التنوب Fir أو خشب الدردار Ash ، وتثبت به عند طرفه قطعة كبيرة من الحديد أو البرونز ، على شكل رأس كبش .

وكان مدك آريس يستخدم لهدم الأسوار والبوابات ، فإن العمود المدلى من سلسلة أو أكثر من هيكل خشبي متين ، كان يدفع أماماً وخلفاً لدى السور بأيدي فريق من الجنود ، يكونون غالباً تحت حاية حظيرة (الفأر الصغير) المتقدم ذكرها .

وكان هذا المدك غالباً بطول ٢٦ متراً تقريباً ، وأحياناً كان أضخم من هذا . فقد استخدم الإمبراطور تيتوس Titus في حصار القدس ، مدكاً بلغ من ضخامته أنه احتاج إلى ٣٠٠ ثور لنقله ، و١٥٠٠ رجل لدفعه لهدم الأسوار .

المدفعية

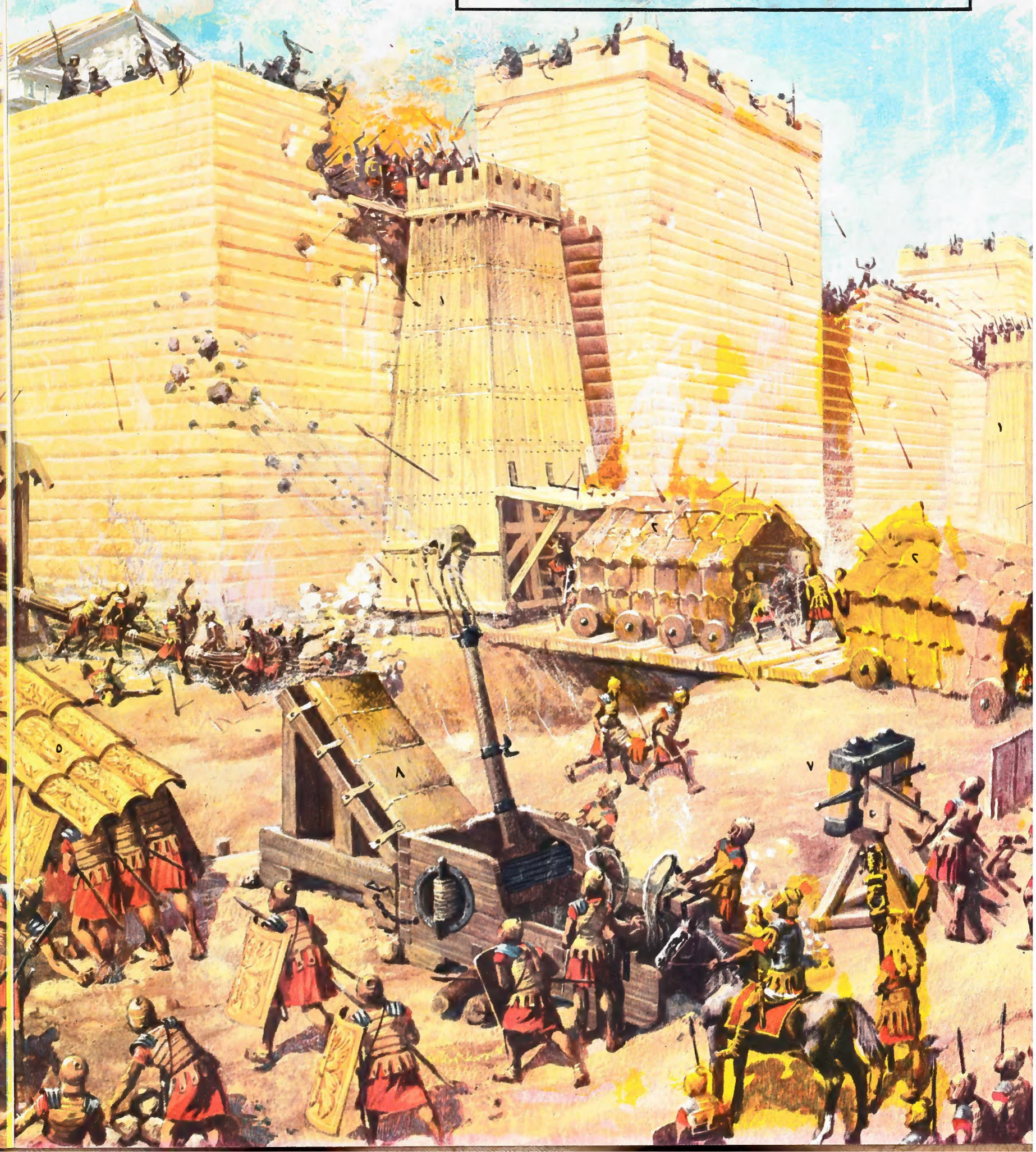
كان لدى الرومان ثلاثة أنواع من المدفعية : قاذفة السهام «كاتابولت»، وقاذفة الأحجار الضخمة ، وكرات الرصاص والنار «بالستا» ، والقاذفة الخفيفة أوناچر Onager .

وكانت أدوات المدفعية هذه تستخدم إما لإخلاء استحكامات وأسوار العدو من الجنود ، وبهذا تكفل حماية الجنود الرومان قرب الأسوار ، وإما لإطلاق الكرات النارية لإضرار الحرائق في مخازن غلال المدينة أو مستودعات أسلحتها . ولم يكن لهذه الأدوات من القوة ما يكفي لهدم الأسوار أو البوابات .

وكان في قدرة المدافع أيضاً استخدام المدفعية بكيفية فعالة . ففي حصار مدينة كريسونا Cressona عام ٦٩ ميلادي ، كانت لدى المدافع آلة ذريعة القوة ، إلى حد أن قذيفتها كان تسحق صفوفاً كاملة من الجنود في الحال . وظلت هذه الأداة تفعل فعلها ، إلى أن تمكن في النهاية اثنان من الجنود من التسلل إلى مكانها ، وإبطال مفعولها بقطع حبالها .

وكان هناك نوع آخر من أنواع المدفعية اسمه أوناچر ، أو (الحار الوحشي) بسبب رفسها Kick . وكانت هذه الأداة أصغر وأخف من قاذفة الأنتال بالستا ، مما كان يسهل نقلها من مكان إلى آخر . وكانت تستمد قوتها من لي خصلة من أعصاب الحيوان مشدودة أفقياً .

يُبين هذا الشكل مجال عمل الأسلحة التي كانت في متناول الجيش الروماني للهجوم على مدينة يحاصرها . ويرى الجنود في أعلى (الأبراج المتحركة) (١) وقد أدلوا القنطرة المتحركة للإغارة على أسوار العدو ، بينما يدخل جنود آخرون إلى قاعدة البرج عن طريق حظائر (الفأر الصغير) (٢) . وهناك جنود آخرون يحاولون تحطيم بوابة المدينة بمنجنيق أو مدك آريس (٣) ، وثمة جنود آخرون يعملون على تقويض الأسوار ، وغيرهم يسارعون لمساعدتهم ، محتمين بتشكيل من حظائر السلفاة الدفاعية (٥) . ويمكن كذلك رؤية أنواع المدفعية الثلاثة وهي تقوم بعملها : القاذفة الثقيلة « باليستا » (٦) ، وقاذفة السهام « كاتا بولت » (٧) ، والقاذفة الخفيفة « أوناچر » (٨) .





السهل الشمالي

تتكون ألمانيا الشمالية من سهل كبير ، هو جزء من السهل الأوروبي الشمالى الذى يمتد من فرنسا إلى روسيا . ومعظمه يقع أقل من ١٠٠ متر فى الارتفاع ، ولا يكاد يصل إلى ٢٠٠ متر . والجزء الساحلى منه الذى يطل على بحر البلطيق رملى فى معظم أجزائه ، وغير خصب . وتقع مرتفعات هولشتاين **Holstein** ومكلنبرج **Mecklenburg** ، وهى المرتفعات البلطيقية ، نحو الداخل ، ومعظم هذه الأراضى صالح فقط لنمو الأشجار الخشبية ، رغم مستواها المنخفض . وإلى الجنوب من المرتفعات البلطيقية ، يقع منخفضان يجريان من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى على طول خط هاغل **Havel** ، والإلب **Elbe** ، وخط فيزر **Weser** والإلب الأعلى . ويغطى هذين المنخفضين تكوينات الطمى والحث **Peats** ، وهما أكثر خصبا من الأجزاء الواقعة إلى شمالهما . أما على طول بحر الشمال ، فيمتد سهل تغطيه الكثبان الرملية ، ثم المنخفضات المستصلحة (بولدر) مثل الحال فى هولند . وإلى الجنوب تقع سلسلة من التلال المنخفضة ، يفصل بعضها عن بعض أودية الأنهار ، مثل لونيوبورج **Luneburg Heath** ، وهى رملية



جبال الجورا السوابية - قلعة الطوهزلرن



ألمانيا من الناحية الطبيعية

تطل ألمانيا على بحر الشمال وبحر البلطيق ، وتشترك حدودها الأرضية الطويلة مع تسع دول هي : الدنمارك ، وهولند ، وتشيكوسلوفاكيا ، والنمسا ، وسويسرا ، وفرنسا ، ولوكسمبورج ، وبلجيكا ، وهولند .

ويمكن تقسيم ألمانيا من الناحية الطبيعية إلى إقليمين رئيسيين ، الشمال والجنوب . أما الشمال فهو أرض منبسطة مستوية ، ليس بها جبال مرتفعة ، بل بها تلال منخفضة . على حين أن الجنوب أقل تجانسا ، وتقطعه العديد من سلاسل الجبال ، لكل منها سماتها الخاصة . وتقطع الجبال عدیدا من الأودية النهرية بعضها عظيم الخصب . وإذ كانت بمنأى عن الرياح الباردة ، فإن الكروم ، ونبات بنجر السكر ، وغيرها يمكن أن تزرع فيها .

موقع ألمانيا الجغرافي



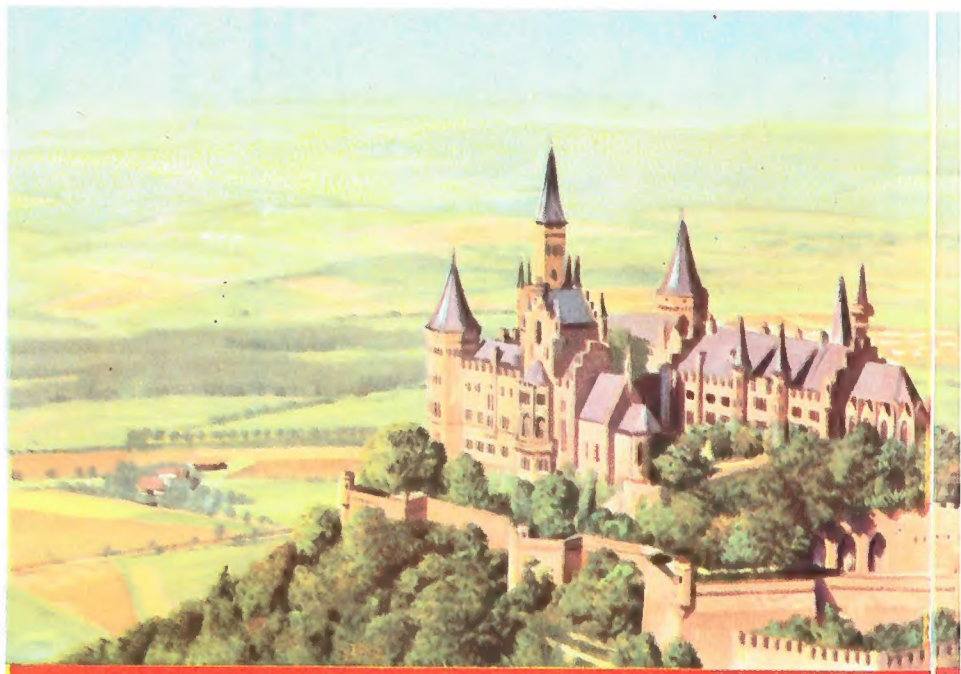


زوجزيتسى ، أعلى قم المانيا

وتقع إلى الغرب من مقدمات الألب جبال الغابة السوداء ، وإلى الشرق منها جبال بوهمر قالد Höher Wald. وتتكون هذه الجبال من الصخور البلورية ، وتغطيها الغابات الكثيفة . وأهم الظاهرات الطبيعية بينهما جبال الجورا السوابية Swabian Jura والجورا فرانكونية Franconian Jura ، وهى هضبة يتراوح ارتفاعها بين ٥٠٠ - ٨٣٣ مترا . وتغطي المراعى الفقيرة معظم الأراضى الأكثر ارتفاعا . وتقع إلى الشمال من نهر مين Main فى ألمانيا الوسطى مجموعة من الجبال ، أكثرها ارتفاعا جبال الإرزبرج Erzgebirge (ويصل جبل فشتل برج Fichtel Berg إلى ١٣٢٨ مترا) ، وهى تقع إلى الشمال مباشرة من الحدود التشيكوسلوفاكية . أما إلى الغرب فيقطع نهر الراين ، وموسل Rhine and Mosel ، ولاهن Lahn ، ومين Main ، كتلة أرضية كانت متماسكة ، ثم أصبحت كتلا منفصلة . وهى كتل إيفل Eifel وهونزروك Hunsrück فى غربى الراين ، وساورلاند Sauerland ، وفسترفالد Westerwald ، وتاونس Taunus إلى الشرق منه . ولاتكاد ترتفع هذه الجبال إلى ما يزيد على ٨٣٣ مترا ، وتغطي الغابات معظم أجزائها . وتقتصر الزراعة أساسا على الوديان ، وتقع جبال هارز فى أقصى الشمال من ألمانيا الوسطى ، وهى تتكون من هورست Horst (هضبة انكسارية) ، تشكل هضبة منعزلة ترتفع إلى ٦٦٠ مترا ، إلا أن جبل بروكن Brocken يرتفع على شكل قمة إلى ١٢٤٦ مترا ، فوق مستوى خط نمو الأشجار .

أنهار وبحيرات ألمانيا

أهم أنهار ألمانيا هى الراين Rhine ، والدانوب Danube ، والإلب Elbe . وتنبع معظم أنهارها من الهضبة الوسطى ، وتصب فى بحر الشمال وبحر البلطيق ، إلا أن نهر الراين



(الأسرة الإمبراطورية) مشيدة فوق قلعة قديمة

ويصب كل من الإلب والفيزر فى مصب خليجى متسع ، وتأوى كل منهما ميناء كبيرة هى هامبورج على مصب الإلب ، وبريمن Bremen على مصب الفيزر . ولا توجد فى ألمانيا سوى بحيرات قليلة صغيرة ، وأكبر البحيرات الألمانية الصرفة هى بحيرة موريتز Müritz فى سهل ألمانيا الشمالية ، وتبلغ مساحتها ١١٦,٥٥ كيلومترا مربعا . كما تقسم بحيرة كونستانس Constance أو بحيرة بادن Bodensee مع سويسرا . والبحيرات الألبية معروفة بجهاها رخم صغر مساحتها . وأشهرها بحيرة كونيغزى Königsee الضيقة المستطيلة التى تقع قرب برختسجادن Berchtesgaden .

سفينة على الراين

السواحل

السواحل الألمانية مستوية عامة ، تحدها الكثبان الرملية ، والبحيرات الساحلية والمستنقعات . كما تحف بها عديد من الجزر ، أكبرها جزيرة روجن Rugen وفهمارن Fehmarn فى بحر البلطيق ، والجزر الفريزية Frisian الشمالية فى بحر الشمال . وتتصل كثير من الجزر باليابس القارى وقت الجزر (انحسار الماء) ، رغم أنها تبعد عنه عدة كيلومترات . ومن الخلجان الهامة فى سواحل بحر البلطيق ، خليج لوبك Lübeck وخليج كيل Kiel .

المناخ

يزداد المناخ تطرفاً كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق ، حيث يصبح الصيف أشد حراً وجفافاً ، والشتاء أكثر برداً . وبينما يتجمد الراين الأسفل ٢٠ يوماً فى العام فى المتوسط ، فإن الأودر يتجمد ٥٠ يوماً . والتغير فى المناخ من الغرب إلى الشرق متدرج فى الشمال . أما فى الجنوب فالمناخ يتغير من مكان إلى آخر . فالجبال أشد برداً ، وأكثر مطراً ومحاباً من الأودية التى تتمتع بمناخ معتدل .

يتسع مجراه فى جبال الألب ، أما الدانوب فيصب فى البحر الأسود . ويدخل نهر الراين ألمانيا عند بازل ، ويجرى نحو ٧٢٠ كيلومترا نحو الحدود الهولندية . وكان النهر يجرى كثير الانعطاف بين بازل وبنجن Basle & Bingen ، ولكنه سوى وجعل مستقيم المجرى من أجل الملاحة فى القرن التاسع عشر ، ويجرى نهر الراين فيما بين بون Bonn وبنجن فى خانق عميق قطعه النهر فى الجبال . ويتناقض جمال الإقليم حول هذا الخانق مع السهول المطموسة المعالم التى يصب فيها الراين . وهذا النهر صالح للملاحة حتى بازل ، رغم أن مياهه القليلة فى آخر فصل الأمطار الصيفية ، تقلل من أهميته .

وينبع نهر الدانوب من جبال الغابة السوداء ، ويجرى شرقاً نحو الحدود النمساوية عند پاساو Passau . ويستقبل النهر الروافد الألبية التى تحمل ماء الجليد الذائب وتسبب فيضاناتها فى أوائل الصيف . أما نهر الإلب فينبع من تشيكوسلوفاكيا ، ويجرى فى معظم أجزائه عبر سهل ألمانيا الشمالية . أما نهر فيزر Weser ومين Main فهما النهران الوحيدان الكبيران اللذان يجريان من منبعهما إلى مصبهما فى أرض ألمانية فقط . ويبلغ طول الأول ٧٥٢ كيلومترا ، والثانى ٤٩١ كيلومترا .

زهـور على جانب الطـريق

في الربيع والصيف تكون جوانب الطرق والدروب في الريف مزدانة بعدد لا يحصى من الأزهار البرية **Wild Flowers** . وإنه لمن المؤسف أن ترش بمبيد للحشائش **Weed-killer** في بعض البلاد، أو تقص ؛ لكي يبدو جانب الطريق أكثر نظافة وترتيباً ، إلا أن الأزهار جميلة يحبها ويقدرها كثير ممن يسرون على أقدامهم ، أو يقودون سياراتهم على الطريق .

وتتنوع الأزهار كثيراً على جانبي الطريق من مكان لآخر ، بسبب اختلاف التربة والمناخ . فالأزهار التي تنمو على جانبي درب **Lane** في تربة طفلية **Clay** ، غير تلك التي تنمو على جانبي طريق يعبر أرضاً جيرية **Chalk** . وقد تجدد في الوجه البحري أزهاراً غير ما تراها في الوجه القبلي . ولو أنك أحصيت ما ينمو في طول البلاد وعرضها من مثل هذه الأزهار ، لوجدتها تتجاوز عدة مئات من الأنواع . وسنقدم إليك بعضاً مما يشيع وجوده على جوانب الطرق المختلفة .



خمس لاتوجا (لاكتوكا سكارويولا *Lactuca scariola*)



إذا أردنا أن نعرف اتجاه الجنوب ، فعلياً أن نلاحظ أوراق الخس البري . فإذا كان النبات موجوداً في مكان مشمس ، فإن أوراقه تتجه عادة من الشمال إلى الجنوب . وبهذا الوضع فإن الأوراق تتلقى فقط الأشعة القادمة من ناحية الجنوب .

الأرقيطون (أركيم ماينس *Arctium minus*)



لقد ابتكر الأرقيطون وسيلة خاصة به لنثر بذوره ، إذ تتعلق القنابات الخطافية التي تحيط بالهامة الزهرية بملابسك ، أو بفراء الحيوانات المسارة ، وبذلك تنتشر البذور إلى مسافات بعيدة .

الهندباء البرية (تاراكسا كم أو فيسينان *Taraxacum officinale*)



من الطريف أن « تعرف الوقت » بأن تنفخ الزغب المنفوش ، والواقع أنها وسيلة فذة لانتشار البذور بواسطة الريح .

القراص (إورتيكادويكا *Urtica dioica*)



تلقح تجمعات الأزهار بواسطة الريح .

يوجد القراص في كل مكان ، ويكون نموه غزيراً في أكوام القمامة القديمة والحقول المهملّة ، حيث التربة غنية . وشعيراته القارصة تحمي من حيوانات الرعي . والفروع الحديثة يمكن طهيها وأكلها كنوع من الخضّر .

الحبازة (مالفا سلقستريس *Malva silvestris*)



بها شعيرات تدل الحشرات على الطريق المؤدى إلى رحيقها .

ويعتبر هذا النبات من أشهر النباتات الطبية ، فهو يعالج أمراض الأذن ، والقدمين ، والأسنان ، كما يعالج جميع التهابات . وثمة أمراض أخرى يعتبر هذا النبات مهدئاً لها ، إذا هو استخدم في عمل حمامات بالماء المختلط بأوراقه .

البرسيم الأبيض (ترافوليم رينس *Trifolium repens*)



أزهار لم تلقح بعد أزهار ملقحة تزحف السيقان على سطح الأرض لكي تنشر أوراقها على مساحة واسعة .

وهو نبات بقولي من أقرباء الفول . ويعد علفاً ثميناً ، وشديد الجاذبية للنحل .

سنجونيلا (ديجيتاريا سانجوينالس *Digitaria Sanguinalis*)



يدافع هذا النبات عن نفسه من الضربات التي يتلقاها من أقدام السائرين ، عن طريق تمدده على الأرض .

حشيشة تاسو (قربا سكمتابس *Verbascum thapsus*)



هذا النبات له بشرة تشبه الصوف ، تجعله مما لا تقبل عليه الحيوانات الآكلة للحشائش .

وهو يعتبر من أعلى النباتات التي تنمو على حواف الطرق ، كما أنه يستمر عامين . وهو أيضاً نبات طبي ، حيث أن أوراقه تغلى في الماء ، ويصنع منها شراب مسهل .

الفيريينا (فيريينا أو فيسنالس *Verbena officinalis*)



نبات الفيريينا البري ينتمي إلى نفس الأسرة التي تنتمي إليها (فيريينا الحدائق) ، غير أن الأول يتميز بمظهر أقل جمالاً من الثانية . وفي وقت ما ، كان هذا النبات يعتبر من الزهور المقدسة ، كما كانت تنسب إليه صفات سحرية .



معجزة النافورة (صورة جزئية) من كنيسة سانت فرنسيس في أسيزي .



صلاة من أجل الطيور (صورة جزئية) من كنيسة سانت فرنسيس في أسيزي

قطع ضئيلة من الحجر والزجاج الملون، تلصق في الأسمت أو الجص . ومن سوء الحظ ، فإن التصوير الموزايك حال لونها عند تعرضها للضوء سنوات كثيرة ، ورسوم الفسيفساء تتآكل وتبلى ، وعندما يقوم الفنانون فيما بعد بإصلاحها ، فإن كثيرا من معالمها الأصلية لا تلبث أن تزول . ولكن قدرا كافيا من أعمال چيوتو قد بقي على الزمن ، ليكون شاهدا على أنه كان فنانا قديرا .

وكان من أوائل أعماله بعض التصوير بالفريسك في كنيسة سانت فرنسيس في أسيزي Assisi ، وهي تحكي قصة القديس الذي أحب جميع الكائنات الحية . ويبدو أن من الحق والإنصاف أن يغدو هذا القديس الذي حاول أن يدخل عوالم الإنسانية والحب إلى حمى الكنيسة ، مادة للتصوير على يد الفنان الذي أدخل الإنسانية إلى عالم الفن ، فأصبح عليه الحرارة والواقعية . ليتأمل القارئ الصورتين اللتين تتصدران المقال ، وهما من تصاوير الفريسك ، ولكي يرى مدى اختلافهما الكبير عما سبقهما من الرسوم بالألوان أو الفسيفساء في عهدها السابقة ، فما عليه إلا أن يقارنهما بأى نموذج آخر من نماذج الفن البيزنطى Byzantine Art .

التصوير بالألوان قبل چيوتو

إن هذا الأسلوب البيزنطى في الفن كان مستخدما في الكنائس المسيحية الأولى في السنين المظلمة المتسمة بالعنف بعد سقوط روما ، وبعد غزوات القبائل المتبربرة . وقد أطلق على هذا الأسلوب وصف البيزنطى نسبة إلى مدينة بيزنطة Byzantium (أو

الراعى الصبى چيوتو ، يرسم بعض غنمه فوق صخرة .



چيوتو

ذات يوم حوالى عام ١٣٠٢ ، بعث البابا بنيدكت الحادى عشر Benedict XI برسول إلى مدينة فلورنسا Florence في إيطاليا الوسطى . وكانت مهمة الرسول هي اكتشاف أفضل الرسامين في المدينة التي كانت مشهورة بفنانها، وإحضار نماذج من أعمالهم لعرضها على البابا ، بعد أن قرر تزين قصره بالصور الزيتية الجميلة .

وقد أشير على الرسول أن يقصد إلى مرسم چيوتو Giotto ، وهناك طلب رسما لعرضه على سيده . فما كان من چيوتو إلا أن تناول فرشاة وغمسها في طلاء أحمر ، وبحركة واحدة من ذراعه ، رسم دائرة كاملة ، قائلا إن فيها الكفاية لكي يتبين منها البابا قدر الفنان . وقد كان على حق في هذا ، فقد عهد إليه البابا من فوره بمهمة رسوم الفريسك Frescoes على جدران قصره .

كيف أصبح الراعى رساما

لقد روى هذه القصة المؤرخ الإيطالى فاسارى Vasari ، الذى دون سبر الكثيرين من أعظم الرسامين . ولا يعرف إلا التزر اليسير عن شباب چيوتو ، ولكن العلماء الباحثين يعتقدون أنه ولد عام ١٢٦٦ في فسينيانو Vespignano ، وهي بلدة صغيرة في إقليم المرتفعات ، الذى يبعد أميالا قليلة إلى الشمال من فلورنسا . وكان أبوه قرويا من الزراع ، ولعله كان يمتلك أرضه الخاصة . وقد اشتغل چيوتو راعيا في أول أصباه ، كما لا يزال يفعل الصبية في الريف الإيطالى . ويروى لنا فاسارى أن چيوتو قد اعتاد أن يسوق غنمه إلى المرعى لكي تأكل العشب ، أما هو فكان يجلس ويأخذ في رسم الصور فوق صخرة ملساء ، بقطعة من خشب محترق . وذات يوم ، كان أحد الغرباء يمشى بين التلال ، فاسترعى نظره مشهد الصبى وهو يخط رسما لواحد من الحملان في قطيعه . وكان الصبى يرسم ببراعة كبيرة ، جعلت الغريب الذى كان هو نفسه رساما يدعى شيا بويه Cimabue ، يسأل الصبى إن كان يحب أن يتعلم الرسم والتصوير بالألوان في فلورنسا .

ولقد سر چيوتو الصبى بهذه الفكرة ، وهكذا سأل شيا بويه والده إن كان يمكن أن يعمل معه الصبى تحت الترين ، فقبل الأب ، وبدأ چيوتو حياته الفنية في مرسم شيا بويه . والواقع أن الشاعر العظيم دانتي Dante ، الذى التقى بچيوتو حين أصبح رجلا مشهورا ، كتب يقول إن شيا بويه كان أحسن رسام في عصره ، إلى أن بز التلاميذ أستاذة . فقد تعلم چيوتو كيف يرسم بالفريسك وبالألوان المائية فوق الجص المبتل ، وكيف ينحرف الكنائس من الداخل ، وكيف يصنع رسوم الفسيفساء ، وهي صور مكونة من



الهروب إلى مصر . لوحة في كنيسة أرينا تشايل ، بمدينة بادوا .



قيلة يهوذا . لوحة في كنيسة أرينا تشايل ، بمدينة بادوا .

يمكن مشاهدته اليوم في كنيسة أريناتشايل Arena Chapel في مدينة بادوا Padua ، تلك الكنيسة الصغيرة التي بنيت عام ١٣٠٥ ، في الموقع الذي كان يقوم فيه المدرج الكبير الروماني Roman Amphitheatre .

لقد تجلت مقدرة جيوتو الدرامية الكبرى وبراعته في التصميم فيما سجله هناك من تلك المشاهد البالغ عددها ٣٨ ، والتي استمدتها من حياة المسيح والعذراء مريم . وتبين صورتان المنشورتان أعلاه ما في تصانيفه من جمال وحيوية : فالحب يشيع في رسمه للأم والطفل ، والوداعة تطل من الحمار الذي يقلهما ، في لوحة الهروب إلى مصر Flight into Egypt . كما تتجلى المقدرة والبراعة الفائقة في لوحة قيلة يهوذا The Kiss of Judas ، تلك اللوحة المكتظة بالشخص ، والتي وقفت فيها قوى الخير والشر وجها لوجه . إن رسامي القرن الرابع عشر لم يتوافر لهم سوى معرفة مبدئية بالرسم المنظوري Perspective . ولكن جيوتو مضى في تطوير الرسوم الملونة بأقصى ما وسعه الأمر دون هذه المعرفة . وبفضل ما اتسق له من مقدرة فائقة في مجال الخطوط المعبرة ، وحسن ترتيبه للمجموعات والألوان المتناسقة ، وما تهيأ لشخصه من إيماءات مباشرة وحيوية — بفضل هذا كله — كان عمله لا يشبهه في أي رسم بالألوان على مدار الستمائة سنة السابقة لعهد .

لقد ترك جيوتو صورا بالألوان في كثير من المدن الإيطالية ، وإن كان القليل من أعماله الأصلية باقيا . فقد رسم صورة بالفسيفساء للمسيح وهو ينقذ القديس بطرس St Peter من بين الأمواج ، وهي قائمة في كنيسة القديس بطرس في روما ، حيث يمكن مشاهدتها حتى الآن ، بعد إدخال كثير من التغيير والتجديد عليها ، كما قام بزخرفة خمس كنائس صغيرة في نطاق كنيسة سانتا كروتشه Santa Croce في فلورنسا ، وكان أسمى تكريم توج تاريخ حياته ، هو تعيينه مهندسا لمشروع الكاتدرائية الجديدة في فلورنسا . فقام بتصميم الواجهة الغربية وبرج الأجراس Campanile ، وتم تشييدهما وفقا لما صممه .

جيوتو الإنسان

أطرى كثير من الكتاب ، عبقرية جيوتو ونحذثوا عن صفاته كرجل ذكي بارع ، حسن الطوية ، ودود ومقتدر ، حاذق في أعماله الحرفية الدقيقة حذقه كفننان . وكان نجاحه كفيلا بأن يجلب له من المال ما هيا له اقتناء أرض أضيفت إلى الأرض المملوكة له في فسينيانو ، والتي تركها له أبوه . وقد توفي جيوتو في يناير عام ١٣٣٧ . وفي كاتدرائية فلورنسا التي دفن فيها ، كتب رسام آخر من أبناء المدينة ذاتها ، وبعد مائة سنة من وفاته ، هذا النقش تكريما لذكراه : « إنني أنا الذي بفضل منجزاته ، قد حق لفن الرسم الملون أن يبعث من مماته إلى الحياة من جديد » .

القسطنطينية Constantinople) ، عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية The Eastern Roman Empire ، التي ظلت قائمة حتى عام ١٤٥٣ ، حينما استولى عليها الأتراك بصفة نهائية . إن الفن البيزنطي ، الذي تتلاقى فيه الأفكار الدينية شرقية وغربية ، هو فن جليل وروحاني ، وإذا نظر إليه المشاهد في مجاليه الكبرى ، في كاتدرائية ضخمة ، فسيجده غامرا في عظمتة وجلاله . ولكنه فن جامد ، لا إنساني ، وذو رتابة لا تتغير . كانت الصور ترسم بالفسيفساء أو بالفريسك على لوحات خشبية مشتملة على بعدين فقط Dimensions : الطول والعرض ، ولم يكن هنا عمق ، وهكذا كانت الشخصيات بلا امتلاء ولا كيان راسخ ، إلا كما يكون للصور المقتطعة من ورق . وكان الفنان لا يحاول أن يجعل قديسه وأتباعه يبدو كأناس حقيقيين ، وإنما كان يحاول إظهارهم كشخص رمزية ، هي نفسها على الدوام ، حتى يمكن التعرف عليهم في الحال . وقد كان هذا شيئا له أهميته في عصر لم يكن يستطيع فيه القراءة أو الكتابة سوى قلة قليلة من الناس . وكان الفنان البيزنطي يستخدم أشكالا ورموزا كانت مليئة بالمعاني الدينية ، ولكن لم يكن لها ما يربطها قط بالحياة والتجربة اليوميين . وكانت الكنيسة تفرض قواعد كان على الفنان أن يلتزمها في اختيار الموضوع ، وأسلوب العمل ، بل حتى في الألوان التي قد يستخدمها .

إن هذا النوع من الرسم بالألوان دام ٦٠٠ عام . ثم جاء جيوتو فنفاذ إلى تقاليده المديدة بفكرة جديدة تمام الجدة لما يمكن أن يكونه الرسم بالألوان . وكان أول رسام بالألوان رأى الحياة ، أناسا وأشياء ، فيما حوله . كانت شخصه ذات وزن وحجم ، كما هي ذات شكل ولون ، وكانت بيوت وأشجاره المرسومة تمثل شيئا واقعا مقنعا مثل أناسه المرسومين ، وما يقومون به من أعمال . لقد حطم جيوتو كل قواعد الفن البيزنطي ، وغير اتجاه الرسم بالألوان برومته . كان فنه معنيا بالكائنات البشرية التي تتحرك ، وتتنفس ، وتتكلم ، التي تأمل وتخاف ، والتي تفرح وتخزن ، هنا على أرضنا الدنيوية ، في رقعة طبيعية كبرى عرفها ولا بسا منذ صباه .

أعمال جيوتو

أن أبدع وأفضل ما حفظ من أعمال جيوتو

► برج الأجراس في كاتدرائية فلورنسا .



ومنذ تلك اللحظة ، أصبحت البحرية البريطانية حياته . لقد تلاشت مخاوف الحرب ، ولكن نلسون بقي في البحر . وشملت رحلاته تحت إمرة مختلف القادة بعثات إلى القطب الشمالي Arctic ، وإلى جزر الهند الغربية West Indies . وسرعان ما تجلت شجاعته البدنية . ويروى في هذا الصدد أنه وهو في منطقة القطب الشمالي ، ترك سفينة لاصطياد دب قطبي بالرصاص . وقد انكسرت بندقيته المسكت Musket ، ولكنه لم يكن بالذي يتراجع ، وبجرأة أقرب إلى التهور ولكنها صادقة ، أخذ يهاجم الدب بسلحه العديم الفائدة . ولم ينقذ حياته من الهلاك سوى قائده البارح في الرماية .

كندا وجزر الهند الغربية

وسرعان ما سجل نلسون لنفسه اسما بارزا . فإن اقتداره على الإحاطة بدقائق الشؤون البحرية وتفصيلها ، وما تهيأ له من شعبية وألفة مع الرجال العاملين تحت إمرته ، قد أهلاه لتسلم زمام القيادة في عدة سفن حربية صغرى ، وما وافى عام ١٧٧٩ ، وكان بعد في العشرين من عمره ، حتى رقى إلى رتبة قبطان . وفي أثناء حرب الاستقلال الأمريكية ، خدم مع الأسطول في كندا ، والتقى نلسون بالأميرال لورد هود ، الذي قدر أن يصبح صديقا ومستشارا له مدى الحياة . وعن طريق اللورد هود ، تهيأ له أن يلتقى بالأمير وليام هنري (الذي أصبح فيما بعد الملك وليام الرابع) ، وهو اتصال برهنت الأيام على فائدته ، حينما تورط نلسون بسبب هجومه الشديد الوطأة على تجارة العبيد في جزر الهند الغربية في سلسلة من الدعاوى القضائية ، أقامها ضده تجار العبيد . إن هذه المشكلة التي نشأت عندما وصل نلسون إلى جزر الهند الغربية عام ١٧٨٧ ، كان يمكن أن يكون فيها القضاء على مستقبله ، لولا أن الحكومة منحتة تأييدها ، وتولى محامو التاج الدفاع عنه بصورة ناجحة . وقد حدث في نفس العام أن قابل فرانسيس نيزبت Francis Nisbet ، وهي ابنة طبيب ما لبث أن تزوجها فيما بعد . واقرنت حياته الزوجية بالسعادة ، وإن لم يرزق أبناء ، وظل هذا شأنه إلى أن أدت مودته المتزايدة لليدي هاملتون Lady Hamilton ، إلى إحداث صدع في حياته الزوجية ، انتهى بالانفصال عام ١٨٠٠ .

نيلسون في البحر المتوسط

أعلنت الحرب عام ١٧٩٣ بين بريطانيا والجمهورية الفرنسية ، التي كانت تواقعة بعد إعدام ملكها وملكها ، إلى معاونة الأمم الأخرى على استرداد حرياتها . وكانت هذه هي الفرصة التي كان ينشدها نلسون : فإنه منذ ذلك الحين وحتى وفاته ، غدا الفرنسيون أعداءه ، وقد بدأ معهم سلسلة من المعارك كان مقدرا أن ترتفع به إلى أوج الشهرة . وفي نفس هذا العام ، ذهب إلى نابولي للمساعدة في حراسة سفن نابوليتانية Neapolitan ، كانت تقوم بالعمل ضد الفرنسيين . وهناك التقى بالليدي هاملتون ، زوجة ممثل إنجلترا في نابولي ، السير وليام هاملتون . وقد تطورت صداقته لها حتى استحالته إلى حب عميق ، وأنجبت له طفلة هي هوراشيا نلسون هاملتون ، وقد استأثرت منهما كلهما بالحب إلى حد العبادة .

لكن نلسون برهن في مجال الحرب على أنه أكثر من متحبيب رقيق فقط . فقد تم له احتلال كورسيكا Corsica ، وباستيا Bastia ، وكالفي Calvi ، بثمان كان جرحا في عينه اليمنى ، تركها وهي مصابة بعمرى جزئى . وقد توجت حملة البحر المتوسط بانتصار باهر على مبعده من كيب سانت فنسنت Cape St Vincent عام ١٧٩٧ ، لعب فيه نلسون تحت قيادة السير جون جبر قيس دورا رائعا . وقد رأى قائده تكريمه بأن اختصه بتسلم سيوف استسلام الفرنسيين ، وأنعم عليه برتبة رير أدميرال Rear-Admiral جزاء خدماته .

وقد شهد نفس العام محاولة غير موفقة جرت في ظروف غير مواتية للاستيلاء على ميناء سانتا كروز دى تريفير Santa Cruz de Tenerife ، أصيب فيها نلسون



أدميرال لورد نلسون: عن صورة زيتية بريشة ب. ه. أبوت في متحف الصور الوطنى بلندن

أدميرال لورد نيلسون

«إن إنجلترا تنتظر أن يقوم كل رجل بواجبه» ، تلك هي الإشارة البحرية المشهورة التي رفرفت بها أعلام نلسون فوق الأمواج ، على مبعده من رأس ترافلجار الأسباني: «الطرف الأغر» Cape of Trafalgar ، تبليغا منه لأسطوله المحتشد ، وهويتأهب لخوض المعركة مع الأسطول الفرنسى ، وقد استجاب الإنجليز مفاخرين معترزين لهذا النداء . وقد قال الأدميرال الفرنسى فيلبيث المنهزم : «لو أن أمة أخرى منيت بفقد نلسون ، لكانت خسارتها فادحة لا تعوض ، ولكن في ذلك اليوم كان كل إنسان نلسون» . والواقع لقد استجاب كل رجل للتحدي الذي أبداه نلسون ، وفي اللحظة التي كان فيها أعظمهم وأبسلهم جميعا ، وهو نلسون ذاته ، ممددا يجرؤ بأنفاسه الأخيرة تحت سطح سفينة في ساعة انتصاره ، غمغم يقول : «حمدا لله أن قمت بواجبي» . إن رسالة نلسون الخالدة لم تنفذ إلى أعماق رجال ترافلجار فحسب ، بل كذلك إلى قلوب الإنجليز عبر الأجيال ، تهب بهم إلى احتذاء مثال أعظم رجال البحر الذين أتيح لإنجلترا أول للعالم أن يعرفهم على الإطلاق .

حياة نيلسون في مستهلها

ولد هوراشيو نلسون Horatio Nelson في التاسع والعشرين من سبتمبر عام ١٧٥٨ ، في پارسوناج هاوس في بلدة برنهام ثورب بمقاطعة نورفولك . وكان أبوه إدموند نلسون قسيسا للأبرشية ، لكن لم يكن ثمة أقل فرصة لكي يقتدى هوراشيو بأبيه في مهنته . وقد تلقى تعليمًا يسيرا ، ثم انضم إلى البحرية وهو في سن الثانية عشرة ، حينما أدت المخاوف من حرب مع أسبانيا إلى وضع الأسطول Fleet في حالة استعداد . وقد ألحق نلسون بالسفينة ريزونابل Raisonnable ، التي كانت تحت قيادة عمه

رايات بديلة لاستعمالها عند الحاجة إلى راية مرة أخرى . وكانت الشفرة Code المستعملة هي شفرة كابتين بويهام التلغرافية . ويحتفل كل عام في الحادى والعشرين من شهر أكتوبر

إنجلترا

تنتظر

أنت

كل

رجل

سوف

راية ترفند
قبل الإشتاء





نلسون ، في ساعة انتصاره الكبير ، مصابا إصابة قاتلة برصاصة فرنسية .

بعد منجزاته الكبرى في معركة النيل — أدى هذا وذاك إلى أن يتسم نلسون ذرى رفيعة لم يبلغها معاصروه . وهكذا لم يكن ثمة نزاع في أنه لابد أن تكون له قيادة الأسطول الإنجليزي ، في قتاله الفاصل مع الفرنسيين .

وكان نلسون يقضي وقته مع الليدى هاملتون في صيف عام ١٨٠٥ ، حينما ترامت إليه الأنباء بأن الأسطول الفرنسي ألقى مراسيه على مبعده من ميناء قادش Cadiz . فلم يتردد في هجر مباحج الحياة في ريف إقليم ساري . فوصل إلى ميناء قادش على ظهر السفينة فكتورى يوم عيد ميلاده ، وانقض على الفرنسيين بهجوم خاطف في الحادى والعشرين من شهر أكتوبر . وكانت معركة ترافلجار (وشهرتها الطرف الأغر) التى تلت ذلك في الساعة الرابعة والنصف من أصيل ذلك اليوم ، نصرا لا لشجاعة نلسون فقط ، ولكن كذلك لخطته الاستراتيجية الجديدة . وكانت هذه الخطة تقوم على الاقتراب لا من مقدمة الأسطول الفرنسي ، ولكن من وسطه ومؤخرته ، وهو ما يؤدى إلى عزله عن سفن المقدمة . ولكن كان معنى هذا أنه بمهاجمة قلب الأسطول المعادى مباشرة ، فإنه هو نفسه في قلب الأسطول الإنجليزي يغدو عرضة لنيران ماحقة . لكن نلسون كان يعرف هذا ، وبينما كانت حبال وأشرعة سفينه تهاوى من حوله ، كان هو يشق طريقه في صميم الخطوط الفرنسية ، للالتحام بسفيني العدو الأماميتين . ولكن واحدا من القناصة على ظهر إحدى السفينتين ، وهى السفينة ريدوتابل Redoubtable ، شاهد القائد الإنجليزي واقفا على ظهر سفينه ، فأطلق عليه الرصاصة القاتلة التى هشتت العمود الفقرى لنلسون .

لقد أيد الفرنسيون في معركة الطرف الأغر ، وعلى الرغم من أن انجلترا كانت أمامها أيام سوداء تمر بها قبل معركة ووترلوا ، فإن غزوها لم يعد ممكنا بعد ذلك قط على يدى دكتاتور فرنسا . بيد أن انجلترا لم تبهج للأنباء التى جاءت من الطرف الأغر . لقد راحت تبكى حدادا على فقد أعظم سادة البحار التى تحيط بها وتحميها من الأعداء عبر القنال الضيق Channel ، الذى يفصل بينها وبينهم .

بجرحه الكبير الثانى ، الذى أسفر عن تهشم ذراعه بصورة اضطر معها إلى بترها . ولكن شجاعته البدنية كانت خارقة للعادة . وقد روى عنه أنه قال في صدد ذراعه : « ضعوها في أرجوحة نوم البحار الشجاع الذى قتل بجاني » . والواقع أنه لم تمض ٤٨ ساعة على فقد ذراعه ، حتى كان يكتب رسالته الأولى بيده اليسرى ، بل إنه تولى بنفسه قيادة جماعات الهجوم المكلفة بالصعود إلى سفن العدو .

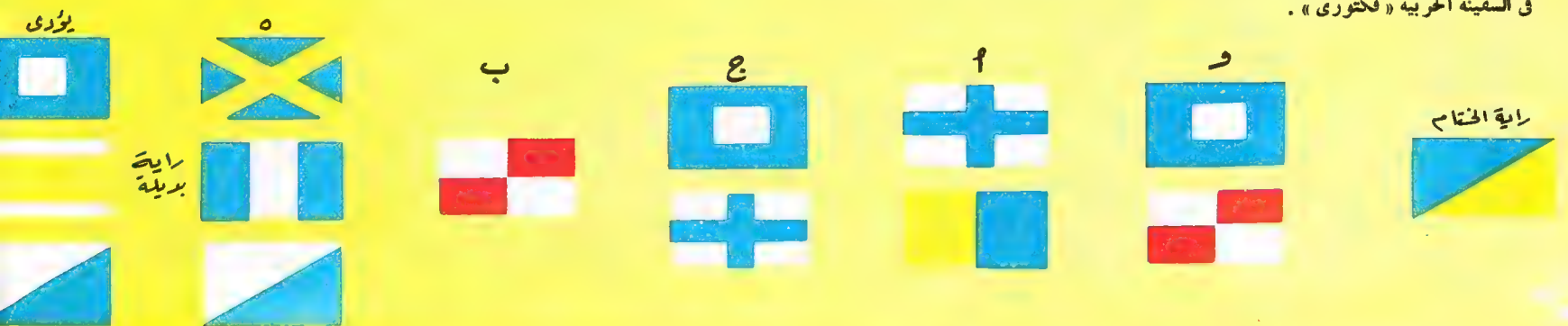
وكانت مهمة نلسون التالية هى تدمير الأسطول الفرنسى ، الذى كان مع نابليون في مصر ، وقد أبحر على ظهر السفينة فانجارد Vanguard ، بعد فترة نقاهة قدرها تسعة أشهر بسبب جرحه ، وجد في أثر نابليون بعزم صارم استحوذ على كل عقله ، فسعى وراءه من جزيرة صقلية إلى جزيرة سردينيا ، ومن نابولى إلى الإسكندرية . وفي النهاية لحق بالفرنسيين ، وإن لم يلحق بنابليون ذاته ، واشتبك معهم في (معركة النيل)^(١) Battle of the Nile ، في الأول من أغسطس عام ١٧٩٨ . ومرة أخرى جرح ، وكان جرحه هذه المرة في جبهته ، ولكن الفرنسيين أصيبوا بهزيمة منكرة . وعاد نلسون إلى وطنه مكللا بالجد . وأنعم عليه بلقب بارون نلسون أوف دى نايل Baron Nelson of the Nile ، بينما منحه ملك نابولى لقب دوق مقاطعة برونقى الصقلية Duke of the Sicilian Province of Bronte .

نهاية الصراع

لم تلبث الحرب ، بعد هدنة قصيرة ، أن نشبت مرة أخرى مع فرنسا عام ١٨٠٣ ، وأدرك كل إنسان أن هذا الصراع هو صراع حتى الموت . وقد اتجه البريطانيون جميعا بأبصارهم إلى نلسون ، يلتمسون عنده النجاة والخلاص من الغزو المنتظر من جانب نابليون . ولقد أدى الانتصار الذى ناله ضد دول الشمال Northern Powers في معركة كوينهاجن عام ١٨٠١ (بسبب أعمال هذه الدول العدائية ضد التجارة البريطانية) ، وما تحقّق لنلسون من سحق ثورة قام بها النابوليتان Neapolitan

(١) المعروفة باسم معركة أبوقير البحرية

إشارة نلسون المشهورة



(وهو يوافق ذكرى الانتصار في معركة الطرف الأغر) ، برفع شارة الرايات مرة أخرى في السفينة الحربية « فكتورى » .

الحويصلة الكيلوسية

الحويصلة الكيلوسية عبارة عن حجرة غير منتظمة الشكل، طولها حوالى ستة سنتيمترات ونصف، وعرضها حوالى سنتيمترين ونصف، وتقع على الجدار الخلفى للتجويف البطنى. ويصب فيها الجذع الليمفاوى المعوى **Intestinal Lymph Trunk**، الذى يحمل الليمف من الأمعاء، والجذع الليمفاوى القطنى الأيمن والأيسر، الذى يحمل الليمف من الأطراف السفلية والحوض **Pelvis**. وفى طرفها العلوى تضيق لتكون الطرف السفلى للقناة الصدرية.

القناة الصدرية

تحمل القناة الصدرية Thoracic Duct المزيغ من الليمف والكيلوس من الحويصلة الكيلوسية ، إلى أعلى عبر الصدر إلى الوريد تحت الترقوى الأيسر Left Subclavian في أسفل الرقبة . وهذه القناة هي أكبر وعاء يمتفاوى في الجسم ، ويصل طولها إلى أربعين سنتيمترا ، وعرضها إلى ستة ملليمترات .

وتتسبب التغيرات في الضغط في الجسم والمصاحبة للتنفس ، في تحرك الليمف إلى أعلى في القناة الصدرية ، وهي مزودة بعدة صمامات Valves ، تمنع عودة السائل من النزول إلى أسفل .

وقبل أن تدخل القناة الصدرية مباشرة في الوريد تحت الترقوى، تتصل بالجلع الودجى الأيسر Left Jugular، والجلع تحت الترقوى Subclavian Trunks، اللذين يحملان الليمف من الناحية اليسرى من الرأس والرقبة ومن الذراع اليسرى.

الدورة الليمفاوية

إن تكون الليمف عملية مستمرة ، لأن الدم يسرى عبر الشعيرات الدموية **Capillaries** طول الوقت . وتمركية كبيرة من الليمف عبر شبكة الأوعية الليمفاوية ، حتى تصل إلى الأوعية الليمفاوية الرئيسية التي تحمل الليمف من الجسم كله مرة أخرى إلى الدورة الدموية ، ويصبح الليمف جزءا من بلازما الدم ، ويعود إلى الشعيرات الدموية ليكمل الدورة **Circulation** .

تحمّل الأوعية الليمفاوية في المساريقا ، المهضوم من الأوعية البنية إلى الحويصلة الكيلوسية



الأوعية اللبنية

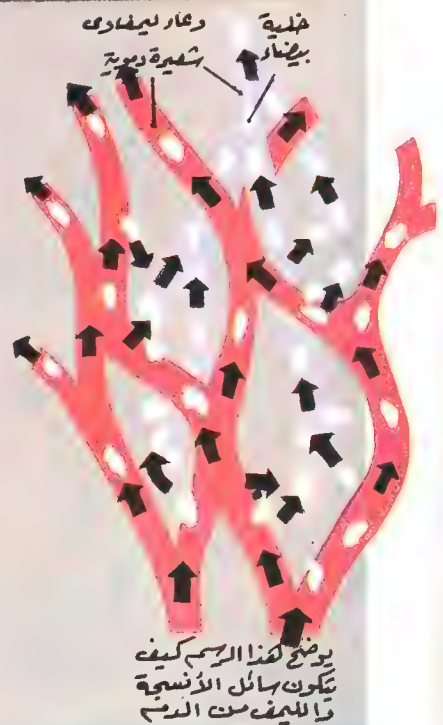
إن الوظيفة العادية للأوعية الليمفاوية Lymphatics هي حمل الليمف من الأنسجة مرة ثانية إلى تيار الدم Blood-stream ، إلا أن الشبكة الواسعة من الأوعية الليمفاوية Lymphatic Vessels التي تخدم الأمعاء Intestine تقوم أيضا بنقل المواد الغذائية من الطعام . وفي أثناء الهضم Digestion ، فإن الجزيئات الصغيرة التي ينقسم إليها الطعام ، تجد طريقها في ملايين « الحمل Villi » الصغيرة ، التي تبطن جدار الأمعاء من الداخل . ويتم حمل بعض هذه الجزيئات من الطعام في الدورة الدموية ، ولكن بعضها الآخر ، وخاصة الدهون Fats ، تدخل في الأوعية الليمفاوية الدقيقة التي تسمى « الأوعية اللبنية » أو اللبنيات Lacteals ، التي يوجد واحد منها في مركز كل خملة . ويتم حمل المزيج من الليمف والمواد الغذائية والمعروف بالكيلوس Chyle بوساطة اللبنيات ، إلى الأوعية الليمفاوية في جدار الأمعاء ، ثم يتم جمعه في الأوعية الأكبر التي تمر عبر المساريقا Mesentery ، ثم يتم حمله إلى « الحويصلة الكيلوسية Cisterna Chyli » .

إن وظيفة الدم هي حمل الأوكسجين والمواد الغذائية **Nutrients** إلى خلايا أنسجة الجسم ، وحمل ثاني أكسيد الكربون والفضلات التي يستغنى عنها الجسم بعيدا عن الخلايا . وتظهر هذه العملية كأنها بسيطة حتى ندرس بصورة أقرب ، العمليات التي يتم بها نقل المواد من الدم إلى خلايا الأنسجة ، ومن الخلايا إلى الدم .

ومن المضاعفات **Complications** الواضحة أن الدم يصبح في علاقة قرب مباشرة مع الخلايا في الطحال **Spleen** والكبد **Liver** ، أما في كل أجزاء الجسم الأخرى ؛ فيبقى الدم محمدا تماما في مساره داخل الأوعية الدموية . لذلك يجب أن تكون هناك مادة وسيطة **Intermediate** تحمل المواد إلى الخلايا ، ومن الخلايا إلى الدم . وهذه المادة هي « سائل الأنسجة **Tissue Fluid** » .

وتبلغ كمية سائل الأنسجة في الجسم قدرا كبيرا .
ورغم ذلك ، فإنها لما كانت موزعة في كميات صغيرة
جدا حول الخلايا في كل أجزاء الجسم ، فمن الصعب جدا
ملاحظتها . بل إن الأصعب من ذلك هو مقدرة العلماء على
الحصول على أى منها لدراسته . وبالرغم من ذلك ، فمن
المعتقد أن سائل الخلايا شديد الشبه في تركيبه « بالبلازما
Plasma » (الجزء المائى من الدم) ، فيما عدا أنه
لا يحتوى على بروتينات Proteins .

تكوين سائل الانسجة

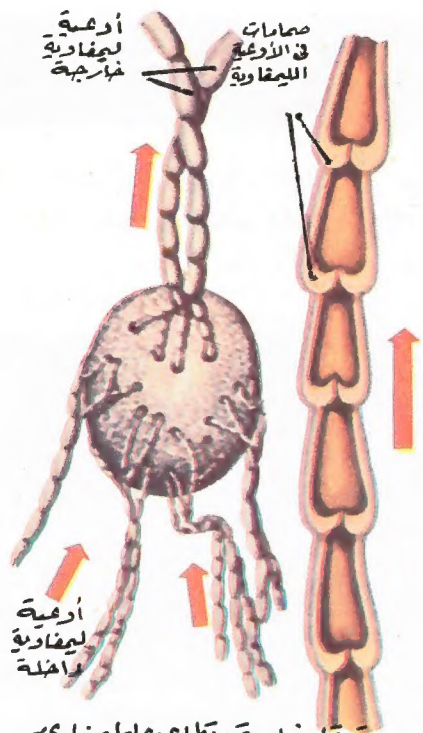


القناة
الليفافية
اليمنى



يتجمع الليمف من
الناحية اليمنى من الرأس
والرقبة في « الجذع الودجي
الأيمن » ، في حين أن
الليمف من الذراع اليمنى
يسرى في الجذع تحت
الترقوى الأيمن. وتتحد
هذه الأوعية لتكون
القناة الليمفاوية اليمنى ،
التي تحمل الليمف إلى
الوريد تحت الترقوى
الأيمن .

المنطقة التي تصرف في القناة
الليمفاوية اليمنى
المنطقة التي تصرف في القناة
الصدرية



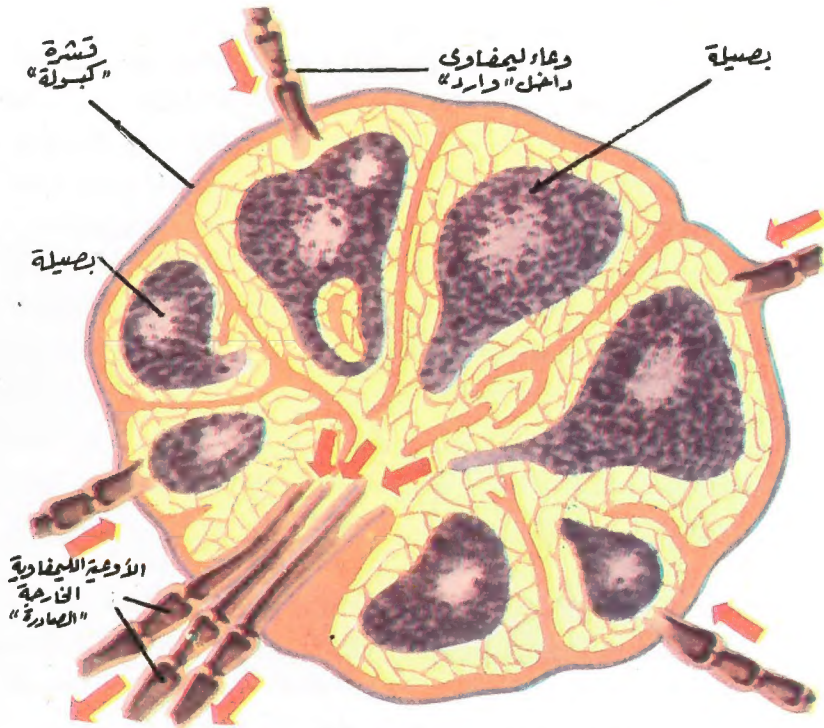
العمود الليمفاوي

إن الأوعية الليمفاوية التي تصرف Drain الليمف من الأنسجة، لا تجري مباشرة إلى الأوعية الليمفاوية الكبيرة، ولكن طريقها ينقطع أثناء مسارها بواسطة أعضاء صغيرة تسمى « العقد الليمفاوية Lymph Nodes »، وهذه العقد الليمفاوية هي « الغدد Glands »، التي كثيرا ما منحسها تحت الجلد. ووظيفتها ترشيح Filter الليمف، وإزالة أي جراثيم ضارة تكون قد وجدت لنفسها طريقا إليه عبر الجلد، أو جدار الأمعاء، والمسافات بين الأنسجة.

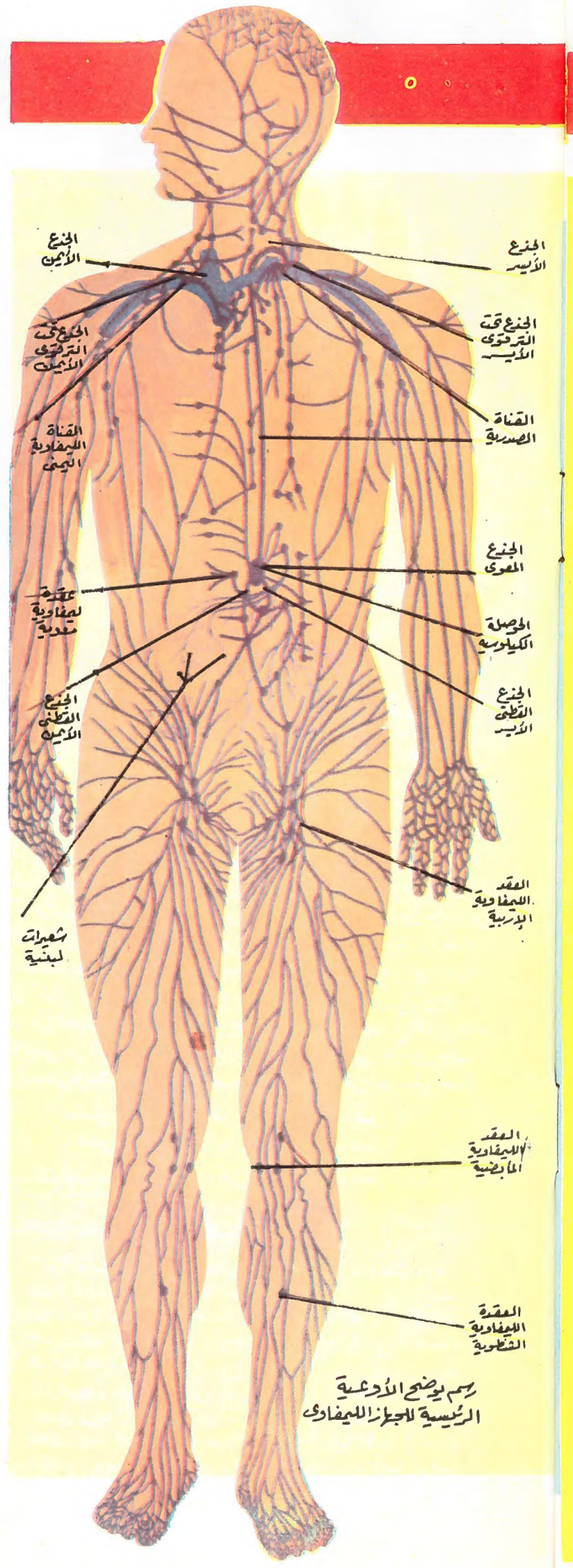
وفي بعض الحالات، فإن عددا من الأوعية الليمفاوية « الواردة Afferent » (الداخلية)، تحمل الليمف إلى الجزء الخارجي من كل عقدة ليمفاوية. ويمر الليمف عبر العقدة، ثم يتم حمله بعيدا عنها في واحد أو أكثر من الأوعية الليمفاوية « الصادرة Efferent » (الخارجية)، ويذهب إلى العقدة التالية. وهكذا يشق الليمف طريقه على خطوات إلى القناة الصدرية أو القناة الليمفاوية اليمنى.

عقدة ليمفاوية وقطاع وعاء ليمفاوي

أما الأوعية الليمفاوية التي تحمل الليمف من عقدة إلى أخرى، فلها جدران رقيقة ورفيعة جدا. ومن الخارج، فإن لها منظرا حبيبيا Beaded Appearance، ويرجع ذلك في الحقيقة إلى وجود صمامات صغيرة ذات اتجاه واحد بها.



قطاع في عقدة ليمفاوية يوضح تركيب الأوعية.



رسم يوضح الأوعية الرئيسية لأجزاء الليمفاوي

لكل عقدة ليمفاوية غلاف ليفي أو كبسولة تمتد منها حواجز Trabeculae إلى الداخل، حيث توجد القشرة التي تتكون من بصيلات ليمفاوية، وفي مركز العقدة توجد الكتلة شبه الليمفاوية غير المنتظمة للنخاع Medulla، وتتشابك الجيوب الليمفاوية مثل خلية عسل النحل، حاملة الليمف نحو الأوعية الليمفاوية الخارجية.

عليّة بنت المهدي

كانت أمها « مكنونة » المغنية، أنضر جوارى المدينة وجهاً، وأسمحن منظراً. وقد اشتراها المهدي في حياة أبيه المنصور (٧٧٥ - ٧٨٥ م) بمائة ألف درهم. وقد وهبها من قبله أكثر من هذا المال وشغف بها. وكان قد أخفى أمرها حتى وفاة المنصور، فولدت له « عليّة ».

فنانة ومتعبدة

نشأت « عليّة » أميرة تستقبل خلافة بعد خلافة. فن خلافة الأب والجد، إلى خلافة الأخ وابن الأخ. فشبّت زهرة يانعة مدلّة، بين مقاصير الذهب وبسط الحرير. وثقت بما هو جدير بأمثالها. تقول الشعر الجميل، وتصوغه لحناً أجمل. وتؤديه بأعذب صوت وأبرع أداء. ولها إلى جانب ذلك ملاحه طبع، وإيناس روح، وجال دعاية. وقد جمعت « عليّة » بين شخصية الفنانة البارعة، وصفات المتعبدة المصلية. فما تكاد تنال نصيبها من الغناء، حتى تنصرف إلى تلاوة القرآن وقراءة الكتب. وإنك لتعجب إذا علمت أن هذه الموعظة الجميلة القصيرة قد صدرت عن هذه الموسيقى الشاعرة المبدعة حيث قالت: « ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل منه عوضاً، فبأي شيء يحتج عاصيه والمنتهك لحرّماته ». وكان إيمانها بطهارة تاريخها ينطقها بهذا الاعتزاز والفخر إذ تقول: « لا غفر الله لي فاحشة ارتكبتها قط ».

عليّة وأخوها إبراهيم

وقد كتب التاريخ الكثير عن أبناء أخيها إبراهيم بن المهدي ومكانته من الغناء، تلك المكانة التي سامى بها إسحاق وأباه إبراهيم الموصلي، وما كان له من براعة الابتداء والإنشاء في هذا الفن. وهانحن أولاء نرى المؤرخين يقومون « عليّة » على أخيها فيقولون: « ما اجتمع في الإسلام أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة، وكانت تقدم عليه ». وإنما غلبت شهرة إبراهيم عليها، لأنه كان أكثر ظهوراً في المجلس والمناظرات، ويستطيع التنقل في حرية وانطلاق، بينما هي محصنة لا تغني إلا حين يطلب إليها الخليفة. وهي كثيرة التعبد، غنية عن الشهرة، وليست بحاجة إلى أن يعرف الناس عنها تلك المكانة في الغناء.

غنى « البنان » المغني المشهور لحناً بديعاً في حضرة المعتصم (٨٣٣ - ٨٤٢ م)، فابتسم أحد أقطاب الفن ممن شهدوا ذلك المجلس. وسأله المعتصم عن بواعث ابتسامه، فأجاب إن سبب اجتماع الشرف من ثلاث جهات على هذا الشعر: في قائله وملحنه ومستمعه، أما قائله فالرشيد، وأما ملحنه فعليّة، وأما مستمعه فأنت يا أمير المؤمنين. وهذه القصة القصيرة تضع أيدينا على المستوى الذي ارتفعت إليه الموسيقى في ذلك العصر الزاهر. وكانت « عليّة » تلحن الكثير من شعرها دون أن تغني بما يروى عنها، أو يعرفه حتى أقرب الناس إليها. استيقظ الرشيد يوماً على غير عادته، وقصد منزل إبراهيم الموصلي قرب السحر، فاستمع عنده إلى جارتين غنته إحداهما أبياتاً مطلعها:

بني الحب على الجور فلو أنصف المعشوق فيه لسمح
ليس يستحسن في حكم الهوى عاشق يحسن تأليف الحجج

فسألها الرشيد لمن الشعر والغناء؟ فقالت لستى. قال ومن سترك؟ فأجابت في استحياء إنها « عليّة » بنت المهدي. وسمع من الثانية لحناً آخر في أبيات شعرها وغناؤها لعليّة أيضاً. فأسرع الرشيد إلى أخته، واستعاد منها هذه الألحان، فأعادتها بعد تدلل وتجن وإنكار. فقال يا سيدتي أعندك كل هذا ولا أعلم.

ولهذا فإن لعليّة كثيراً من الألحان لم يتبادلها الرواة. يؤيد ذلك ويزيده برهاناً ما روى من أن الرشيد أسمع بعض المقرّبين إليه غناءها من وراء الأبواب، ثم قال له بعد أن ملك الطرب عنانها إنها « عليّة » بنت المهدي، والله لأن نطقك بين يدي أحداً باسمها وبلغني لقتلتك. وكانت « عليّة » فنانة رقيقة، تستمرئ مع عشيرتها وأسرتها ذلك الغذاء الشهى من الشعر والغناء، فتقدم لهم منه مع الطعام والشراب رقيقاً من الألحان، في أكواب من حناجر جوارىها الحسنات. كما صنعت ذلك في مجلس ضم أخويها الرشيد وإبراهيم، حتى إذا سمعا وطربا كتبت إليهما في رقة تحييهما وتقول: « لقد صنعت يا سيدي أختكما هذا اللحن اليوم، وألقيته على الجوارى واصطبحت فبعثت لكما به، وبعثت من شرابي إليكما ومن قيناتي وأحذق جوارى لتغنيكما، هنا كما الله وأطاب عيشكما وعيشي بكما ».

برّها بأهلها

ولعلها هي بارة بأهلها، كريمة بفنها، كانت أغزر برّاً وأوفى عطاءً، حين رأت أم جعفر



سالم جويلى

زوج الرشيد وهي حيرى شاردة البال. فإن ثمت جارية حسناء استأثرت بقلب الرشيد، وشغلت منه يوماً نسي فيه كل شيء سواها. وإذا ذلك استنجدت أم جعفر بعليّة، فكانت خير مواس لها في محتها النفسية. وقالت في شجاعة وحزم وثقة بمقدرتها: « لا يهولنك هذا فوالله لأردنه إليك ». ثم صنعت شعراً، وصاغت للشعر لحناً، ووضعت له منهجاً خاصاً من الأداء لم ير مثله الرشيد، ولم يسمع بمثله الخلفاء في قصور دمشق ولا بغداد. فجمعت جوارىها، وجوارى أم جعفر، وبقيّة جوارى القصر من المغنيات في أجمل ثياب، وأبهى الحلل، وأبدع المناظر. وما هي إلا ساعة حتى فوجئ الخليفة بعد صلاة العصر بموكب لم يعرفه، ومشهد لم يألفه. عدد لا يحصى من الجوارى المغنيات يطالعهن، وفي الصدارة منهن عليّة من جانب، وأم جعفر من جانب آخر، يرددن جميعاً في صوت واحد من شعر عليّة وتلحينها:

منفصل عني وما قلبي عنه منفصل
يا قاطعي اليوم فن نويت بعدى أن تصل

فلك الطرب عنان الرشيد، وأقبل كالمعتذر إلى أم جعفر وعليّة.

حياتها ومماتها

وقد عاشت عليّة في صون حجابها، على معهود عصرها، مغنية عازقة، شاعرة ملحنة مبتكرة، معلمة متعلمة. كما عاشت ناسكة في صومعة فنها، وخلوة عبادتها. فقد صامت وحجت ورتلت القرآن، ثم قالت الشعر الرقيق السهل الممتنع، وأرسلت الغناء الساحر الذي إن لم نسمعه، فقد سمعنا عنه ما يكفي.

وقضت « عليّة » سنة عشرين مائتين من الهجرة (٨٢٥ م)، ولم تتجاوز الخمسين ربيعاً. حياة كلها صبا وشباب. عاصرت فيها الرشيد، وقاطعت بعده الغناء ودواغيه حزناً عليه. ثم ألح عليها الأمين في خلافته فتكلفت. وبعد أن قتل الأمين وانتصر المأمون، عادت أيضاً إلى الغناء في قلة، حتى ماتت بين يديه، وصلى عليها بنفسه.

كيف تحصل على نسختك

- اطلب نسختك من باعة الصحف والاكتشافات والمكتبات في كل مدن الدول العربية
- إذا لم تتمكن من الحصول على عدد من الأعداد اتصل بـ :
- في ج.م.ع : الاشتراكات - إدارة التوزيع - مبنى مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
- في البلاد العربية : الشركة الشرقية للنشر والتوزيع - بيروت - ص.ب ١٤٨٩
- أرسل حوالة بريديّة بمبلغ ١٢٠ مليماً في ج.م.ع وليرة ونصف بالنسبة للدول العربية بما في ذلك مصاريف البريد

مطبع الأهرام بتجارة

سعر النسخة

ع.م.ع	١٠٠	مليم	أبوظبي	٢٠٠	فلس
لبنان	١	ل.ل	السعودية	٢	ريال
سوريا	١٢٥	ل.س	عبد	٥	شلتات
الأردن	١٢٥	فلسا	السودان	١٥٠	مليما
العراق	١٢٥	فلسا	ليبيا	١٥	فترشا
الكويت	١٥٠	فلسا	تونس	٢	فركات
اليمن	٢٠٠	فلس	الجزائر	٣	داتير
قطر	٢٠٠	فلس	المغرب	٣	دراهم
دب	٢٠٠	فلس			

دبلوماسية

وكانت المهمة الأساسية لهؤلاء القساوسة في الواقع هي عقد المحادثات ، كما كان لهم أيضا بعض الأنشطة الأخرى ، فكانوا هم الذين يعلنون الحرب ، ويوقعون على شروط الهدنة Armistice ، ويعقدون الصلح ، ويفصلون في المنازعات الدينية . وكان الذين يرسلون منهم بصفة سفراء يسمون بالمبعوثين Legates (من اللاتينية Legare بمعنى مبعوث) .

وفي عهد النظام الملكي أيضا ، كان اختيار السفراء من حق الملك ، وعندما جاءت الجمهورية : انتقل هذا الحق إلى أعضاء مجلس الشيوخ . وقد أنشأت روما مدارس للدبلوماسية ، لكي يتخرج منها دبلوماسيون أكفاء . وفي عهد الإمبراطورية ، كان الإمبراطور نفسه هو الذي يعين السفراء .

الدبلوماسية في العصور الوسطى

أخذت الممالك البربرية التي تأصلت تدريجيا في العصور الوسطى في اتباع الطرق الدبلوماسية الرومانية نتيجة احتكاكها بروما .

وقامت الكنيسة الكاثوليكية بدورها باستحداث وسائل دبلوماسية جديدة ، فلكي تحافظ على حسن العلاقات مع الإمبراطورية البيزنطية ، أوفدت إليها ممثلين دبلوماسيين (سفراء) ، كانوا يقيمون بصفة دائمة في القصر الإمبراطوري . ولأول مرة في التاريخ يحدث أن يقيم الدبلوماسيون بصفة دائمة في بلاط دولة أجنبية .

وقد أثبتت الأيام أن هذه الطريقة كانت مجدية . والواقع أن الممثلين الدبلوماسيين الدائمين كانوا في موقف يمكنهم من إحاطة بلادهم باستمرار بمضمون السياسة التي تتبعها الدولة التي اعتمدوا لديها . وكانت جمهوريتا جنوا والبندقية البحريتان هما أول من اتبع هذه الطريقة ، فأوفدتا ممثلين إلى جميع الدول ذات الأهمية في ذلك العصر . وقد تمكنتا بفضل مهارة ممثلتهما من عقد اتفاقيات تجارية مع بلاد الشرق ، عادت عليهما بفوائد قيمة .

رسم بارز على أعمدة تراجان ، يمثل سفراء البربر في روما .

الدبلوماسية في العصور الحديثة

إن العصور الحديثة ، وهي التي اتفق على تحديد بدايتها باكتشاف أمريكا ، تتميز بالنسبة لأوروبا بتأسيس الدول الكبرى .

ولكي تتمكن تلك الدول الكبرى من تبادل الرقابة على بعضها بعضا ، وبذلك تستطيع أن تتنبأ في الوقت المناسب بأي اعتداءات محتملة ، فلما قامت فيما بينها بنشاط دبلوماسي واسع النطاق ، وأوفدت كل منها ممثلا دبلوماسيا دائما لها في البلاد الأجنبية . وكانت الكنيسة هي الأخرى تريد أن تكون ممثلة لدى جميع الأمم الكبرى في أوروبا ، وقد تمكنت من تحقيق ذلك منذ عام ١٥٣١ بواسطة « المندوبين البابويين » .

وعندما كان الأمر في ذلك العهد يتطلب إجراء اتصالات عاجلة بين مختلف الحكومات ، كانوا يوفدون سفراء فوق العادة ليعاونوا الممثلين الدائمين . وبهذه الطريقة تمكنت بعض الدول مثل فرنسا وأسبانيا من الحصول على مركز مرموق في أوروبا (القرن السابع عشر) ، ويعزى نجاحهما في ذلك إلى المهارة الدبلوماسية لبعض وزرائهما .

ويكفي أن نذكر منهم ريشيليو Richelieu ومازارين Mazarin ، ففضل خبرتهما الدبلوماسية ، كان باستطاعتها أن يدركا اللحظة المناسبة والبلد المناسب الذي يلزم التحالف فيها معه ، أو الدخول في حرب ، أو إبرام اتفاق تجاري مجز .

وفي أيامنا هذه تستخدم كل دولة سفراءها لإقامة العلاقات مع الدول الأخرى ، أو للمحافظة عليها .

خطاب الاعتماد الذي حملة سفير نابليون إلى رئيس الولايات المتحدة

من نابليون ، بفضل الله وبموجب قوانين الجمهورية ، إمبراطور الفرنسيين

إلى صديقنا الحميم العظيم رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الشمالية

أيها الصديق الحميم العظيم

إن الرضاء الذي شعرنا به عن الدقة والأمانة اللتين حقق بهما الجنرال تورو نوايانا منذ أن أسندنا إليه مهمة وزيرنا المفوض الدائم لديكم ، يدعونا إلى أن نقدم له دليلا جديدا على ثقتنا ، ولذلك فقد رأينا من الضروري أن نعيد اعتمادكم لديكم . ونرجوكم أن تثقوا ثقة كاملة في كل ما ينقله لكم عنا ، ولا سيما فيما يتعلق بالاهتمام الذي لا تكف عن إبدائه نحو توفيقكم الشخصي وتوفيق أصدقائنا الحميمين العظاء ، شعب الولايات المتحدة الأمريكية الشمالية .

وختاما ندعو الله ، أيها الصديق الحميم العظيم ، أن يشملكم برعايته المقدسة .

حرر في سان كلود في ١٣ مسيدور من العام الثاني عشر (الموافق ٢ يوليو عام ١٨٠٤) من حكنا الأول

بأمر الإمبراطور :

وزير الدولة

إمضاء : هوب . ماريت

صديقكم الوفي

إمضاء : نابليون

وزير العلاقات الخارجية

إمضاء : ش . م . تاليران

خطابات الاعتمادات "أوراق الاعتماد"

جرت العادة منذ أقدم الأزمنة على أن تسلم للسفراء خطابات تقديم موجهة إلى رؤساء الدول التي يوفدون إليها . وكانت تلك الخطابات ، وهي التي يطلق عليها اسم « خطابات الاعتماد » ، تشتمل عادة على ثلاثة بنود ، وهي الغرض من إيفاد السفير ، وتقديم السفير ، والتأكيد على « اعتماد » ما سيقله السفير (ومن هنا جاء اسم خطاب الاعتماد) .

- إقليدس .
- أدوات الحرب عند الرومان .
- ألمانيا: من الناحية الطبيعية .
- زهور على جانب الطريق .
- جيوتو .
- آدميرال لورد نلسون .
- الجهاز الليففوي .
- غلطة بنت المهدي .

- حوانيت روما القديمة .
- النصر في روما القديمة .
- مدن ألمانيا .
- الصناعة في ألمانيا الغربية .
- الفسيفساء والجدران .
- البرازيل من الناحية التاريخية .
- في فنلندا .
- أمراض القلب .
- سالي بيردوم .

" CONOSCERE " 1958 Pour tout le monde Fabbri, Milan 1971 TRADEXIM SA - Genève autorisation pour l'édition arabe

الناشر: شركة تراдекسيم شركة مساهمة سويسرية "جنيف"

دبلوماسية



▲ رئيس دولة يستقبل السفراء المعتمدين لدى حكومته . إن مجموع السفراء الموجودين في العاصمة تسمى هيئة السلك السياسي

واجبات وحقوق السفير

إن المهمة الرئيسية للسفير ، هي إقامة والحفاظ على صلات ودية ودائمة بين البلاد الذي يمثلها ، وذلك الذي يعتمد عليه . وهو عادة لا يستطيع أن يتصرف من تلقاء نفسه ، ولكن يجب عليه ، في جميع الظروف والأحوال ، اتباع التوجيهات التي يرسلها له رئيس الدولة التي أوفدته ، أو وزير خارجيتها . ومع ذلك فإن المعلومات والنصائح التي يقدمها تلقى أعظم درجات الاهتمام .

ولكل سفير مقر خاص يوضع تحت تصرفه ، ويسمى « السفارة Embassy » . وطبقا للمبادئ الأساسية للقانون الدولي ، فإن شخص السفير وكذلك مقر السفارة يتمتعان بالحصانة ، وهو امتياز لا جدال في ضرورة وجوده ، ذلك لأن السفير ليس إلا المعبر عن لسان أمته ، وهو لذلك ليس مسئولاً عن القرارات التي يبلغها ، سواء وافقت عليها الدولة المرسل إليها هذه القرارات أو لم توافق . ومن جهة أخرى ففي حالة قطع العلاقات الدبلوماسية ، وحالة إعلان الحرب بين البلد الذي يمثله السفير والبلد الذي اعتمد لديه ، فإنه من المتفق عليه أن السفير يجب أن يحصل على جواز أمان يسمح له بالعودة سالماً إلى بلاده .

القناصل

علاوة على السفراء فإن الدول تستطيع أن توفد لدى الدول الأجنبية ممثلين دبلوماسيين من رتبة أخرى ، أولئك هم القناصل Consuls . والوظيفة الرئيسية هؤلاء القناصل هي صيانة المصالح الاقتصادية ذات الطابع الخاص لبلادهم في البلاد الأجنبية التي يوفدون إليها . ولهم كذلك مهام أخرى هامة ، وهي مساعدة مواطنيهم المقيمين في نفس البلد ، هذا علاوة على الإشراف على الشؤون الخاصة بالأحوال المدنية هؤلاء المواطنين ، كما أنهم يسلمون جوازات السفر والتأشيرات ، ويقدمون المساعدة لمن هم في حاجة إليها . والمقر الذي يعمل فيه القنصل يسمى « القنصلية Consulate » .

بعض الاصطلاحات

- وزير مفوض (وزير يوفد في مهمة فوق العادة وله صفة السفير) .
- مندوب (سفير يقوم بالاتصال بالعدو في وقت الحرب) .
- وزير الخارجية (ويشرف على العلاقات السياسية مع الدول الأجنبية) .
- أوراق اعتماد (تعطى للسفير لتقديمها بصفة رسمية في بلد أجنبي) .
- البعثة الدبلوماسية (مجموعة الأشخاص المعيّنين لتدارس موضوعات دبلوماسية) .
- السلك الدبلوماسي (مجموعة السفراء من مختلف الدول المعتمدين لدى بلد أجنبي) .
- مفوضية (مجموعة الأشخاص التابعين للسفير) .
- الوكالة البابوية (سفارة دولة الفاتيكان لدى الدول الأخرى) .
- العلاقات الدبلوماسية (الصلوات التي يقيمها السفراء بين دولة وأخرى) .
- حادث دبلوماسي (خلاف سياسي يحدث بين دولتين ، ويمكن حله بالطرق الدبلوماسية) .
- قطع العلاقات الدبلوماسية (توقف العلاقات الطبيعية القائمة بين دولتين نتيجة خلافات خطيرة . وفي هذه الحالة فإن كلا من الدولتين تصدر أوامرها لسفيرها بأن يسحب خطابات اعتماده ، وأن يغادر مقره الدبلوماسي ، وفي حالة الحرب فإن العلاقات الدبلوماسية تقطع تلقائياً) .



دبلوماسي يحمل القلنسوة ذات الحافتين ، ويرتدي الشعارات الدالة على رتبته